

# الإسلام والشعر

دراسة موضوعية

د. إغلاص فخرى عمارة

مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأدب - ق: ٨٦٨ - ٢٩٠٠



Bibliotheca Alexandrina



0122967

# الإسلام والشعر

## دراسة موضوعية

د. إغلاص فخرى عمارة

كلية الآلسن — جامعة عين شمس

مكتبة الآداب

٤٢ ميلاد الأدب — القاهرة

ت: ٣٩٠٠٨٦٨ — ٣٩١٩٣٧٧

## إهداء

إلى والدي يرحمه الله

فكثيرا ما عارض اتجاهي لدراسة الأدب ، وتمنّيت لو تخصصت  
في أحد علوم الدين .

وعزمت أن أرضيه ما أمكنني ، حين أحاول الإفادة من دراسة  
الأدب لحماية اللغة ، والدود عن الدين ، وهذه إحدى محاولاتي ، مُقرّبي  
لله ، وإرضاء لأبي .

د . إخلاص شكري عمارة

## مقدمة

حين همت بتناول موضوع الإسلام والشعر ، كنت أعلم أن عشرات من الباحثين ومؤرخي الأدب قد سبقوني إلى تناوله ، واطلعت على وجهات نظرهم في أغلب المؤلفات ، وأفدت منها ، ومع ذلك قويت رغبتي في معاودة النظر لهذه القضية وكلية ثقة في أن أقدم جديدا ، وأحسبني فعلت .

لقد جمعت كل الآيات التي تحدثت عن الشعر والشعراء في القرآن الكريم ، وفسرتها واستخلصت ما عالجته من نقاط ، مستعينة بأراء السابقين وشروحهم .

ثم عرضت أغلب ما أثر عن الرسول - ﷺ - من قول أو فعل يتصل بالقضية وقسمته إلى أنواع واجتهدت في فهم الموقف الحقيقي من خلال المعارض والمتفق من الأحاديث والمواقف النبوية .

وأكملت بذكر أمثلة من الأقوال والأفعال المروية عن صحابة رسول الله - عليه السلام - وخلفائه الراشدين - رضوان الله عليهم جميعا . وبعد ذلك استعرضت آراء المؤيدين والمعارضين في مناقشة تفصيلية منسقة .

وخلال المناقشة أسهبت في مواضع لم يوفها الآخرون حقها ، ورددت على شبهات لم يتوقفوا أمامها ، وصححت مفاهيم وأفكارا غابت عنهم ، أو تجاوزوها .

ذلك هو الجانب النظري في القضية ، لكنني أضفت لها جانبا تطبيقيا ،  
كي أبرهن على ما توصات إليه من نتائج . لقد انتهيت في المجال النظري  
إلى أن للإسلام أثر إيجابي محمود على الشعر العربي ، وأنه ازدهر وتطور  
في ظل الإسلام فالتفت مجالاته وتمددت أغراضه ، كما ارتقت أساليبه ،  
حين تغيرت - بفضل القرآن والحديث - مقاييس البلاغة ، وشروط  
البيان والفصاحة .

وإثباتا لما ذهبت إليه قدمت عددا من النماذج الشعرية في عهد  
النبوة والراشدين ، وعرضتها على مقاييس النقد والدراسة الفنية ، كي  
أكشف ما طرأ على الشعر الإسلامي من تطور وتجدد وحيوية .  
إنني لأرجو أن أكون قد حققت بعض ما تطلعت إليه ، حين عاودت  
الكتابة في موضوع سبقني إليه الكثيرون .  
والله الهادي سواء السبيل .

د . إخلاص فخري عمارة

روكي ت : ٢٥٦٢٢١٥

## تهم باطلة

دأب المفرضون من أعداء الإسلام والعروبة (١) على النيل منهما بشقي السبل وكافة الوسائل ، فإن أعيانهم العداء السافر والحرب الضروس ، لجأوا إلى مقاتل خفية وإلى طرق ملتوية ، فهذا إغراء بما عندهم من بضاعة مادية ومعنوية حتى ينجذب إليها المسلمون والعرب ويعرضون عما لديهم ، ثم ينكرونه ويتجـاهلون ، ومن ثم ينسونه فيتغربون ، ويتشتتون ويضيعون بدداً .

(١) المفرضون يتمشون في : المشركين والمنافقين ، ثم الشيوعيين ، فلاستعمار والمستشرقين ، ثم من مدارف ركايتهم عن جهل أو عن سذاجة من العرب والمسلمين الذين استغربوا لأنهم تلقوا عليهم وثقافتهم في الغرب فتشربوا روحه وفكره ، فضعت عروبتهم ووهن إسلامهم .

وأنا لا أفصل بين العروبة والإسلام ، فكل مسلم عربي ، لأنه كي يحسن إسلامه لا بد أن يعرف العربية - لغة القرآن والحديث - فإذا عرفها لعرب لسانه وفكره ، وبالتالي لعرب وجدانه وهواه فصار عربياً وإن لم ينتسب للأصول العربية من جهة الجنس .

أما من يخشون الجمع بين العروبة والإسلام ، لوجود عرب غير مسلمين ، فليطمئنوا لأننا نرحب بغير المسلمين بيننا ما داموا عرباً بالفكر والقلب ، وكل ما قصده هو أن دائرة العروبة أوسع من دائرة الإسلام ، فكل مسلم عربي وإن لم يكن بالضرورة كل عربي مسلم .

وهذا انتقاص مما عند المسلمين والعرب من بضاعة معنوية ومادية .  
وازرأ بها وتحقير لها ، حتى يعافها أصحابها ويتخلوا عنها ، فيلقدوا  
هوية يشتم وأصالتهم .

وقد تكون الوسيلة هي إتيان العرب والمسلمين من حيث لا يحتسبون  
وطعنهم في ظهورهم وهم لا يشعرون ، رذلك ما تمثّل في إبداء الآراء  
وعرض وجهات النظر حول أدبهم وحضارتهم وتراثهم ، فإذا كان الشعر  
مفخرة العرب ونفهم الأول ومجال نبوغهم ، فإن هناك شكوكا حول نشأته  
البعيدة ، وتأثره بأشعار الأمم الأخرى ، ثم هناك ريب ، بل تأكيدات  
حول انتكاسته وضعفه بعد ظهور الإسلام لأنه عاداه وحقره وهاجم  
مبدعيه .

وإذا كانت الثقافة العربية الإسلامية قد بلغت ذروة لم تبلغها ثقافة  
أخرى في العصر الإسلامي أيام بني أمية والعباسيين ، فقد انهارت وتراجعت  
في العصر التالي أيام الدويلات والمماليك ، ثم انطمست تماما وخمد كل بصيص  
لها في ظل الخلافة التركية ، وإذا كانت الحضارة العربية الإسلامية قد  
تميزت بسمات فريدة وتألقت بخصائص يميز على الغرضين فهمها واستيعابها ،  
فليكن غمزها من حيث كونها جامدة متخلفة ، تتنافى مع التقدم  
وتخاصم الحداثة .

وإذا كانت اللغة العربية هي جوهر العروبة ورابطة الإسلام ، وهي  
النسب الحقيقي لكل عربي ومسلم ، هي لغة القرآن وحافظة الدين ، وهي  
أعرق اللغات الحية ، وأعظمها ثراء ، وأفصحها بيانا ، وهي الوحيدة

التي قاومت كل عوامل الفناء ، وتطورت مع الزمن دون أن تفقد جوهرها أو تتغير خصائصها - إذا كانت اللغة العربية كذلك - فليكن البحث عن محاولات خبيثة لإضعافها تدريجيا حتى يتم القضاء عليها ، لتسكن الدعوة إلى كتابتها بالحروف اللاتينية مرة ، والمناداة بكتابتها كما تنطق مرة أخرى (١) ولتكن الثالثة - القاسمة - هي الدعاية لتوسيع نفوذ اللهجات المحلية ، وكتابة الأدب بها ، حتى تسود لهجة كل إقليم فينعدم التفاهم ويتم الانفصال ، وتتموت الرابطة التي تجمع المسلمين والعرب على امتداد أوطانهم والساعها .

وأقسى وأوجع ما في تلك المحاولات أن القائمين بها ليسوا أجنب وأعداء فقط ، ولكن يشاركونهم ويؤسسون معهم للأسف وللخجل عرب ومسلمون .

وفي تصوري أن من أوجب واجبات المثقف المسلم ، التصدي لتلك المحاولات ، وإمالة اللثام عنها وكشف أهدافها الأصلية ، وهذا التصدي لا يقتصر على مقالات ودراسات صريحة مباشرة متجذبة ، ولكنه يجب أن يتم في كل لحظة ، وعلى كافة المستويات وفي شتى المجالات ، ولا إخل بمجال الأدب إلا أوسع المجالات وأهمها ، لذلك تأتي الصفحات التالية لمعالجة زعم وادعاء - بل الأحرى أن يقال افتراء - شارك فيه الكثيرون عن سذاجة وعدم تبصر ، أو عن سوء قصد وخبث نية ، ذلك الزعم

---

(١) صاحب الدعوة الأولى هو عبد الميز فهمي وبغده سلامه موسى ، وصاحب الثانية هو طه حسين الذي كتب اسمه أيامها هكذا : طاها .



الذى نال من الشعر العربى فى عصر النبوة والراشدين بتريد مقولات خاطئة ، مثل عداوة الإسلام للشعر ، وانشغال المسلمين عن نظامه وروايته ، وقلة عدد الشعراء ، وضعف المستوى الفنى . وليس فى مناقشة هذه الادعاءات ما ينتهض من الاسلام أو يضعه موضع الاتهام الذى يتطلب دفاعا وتفنيدا وتبرئة (١)

بل هو تبديد للغبار الذى قد يحجب الرؤية الصحيحة عن الناشئة ، ودحض لمزاعم قد تكدر نصاعة الحق ولو للحظات .

\* \* \*

---

(١) قراءة فى الأدب الإسلامى والأموى : د . محمد عبد العزيز الموانى .

أولا : موقف القرآن الكريم

خير ما نستعمل به حديثنا في قضية الإسلام والشعر هو استعراض الآيات التي حوت لفظ شعر أو شاعر أو شعراء ، لأن القرآن دستور الإسلام ومنبع الأحكام ، ومنه ينهل الجميع ويستمدون .

لقد وردت الألفاظ الثلاثة في ستة مواضع عبر كتاب الله الكريم ، وهي على الترتيب :

١ — قال تعالى : ﴿ بل قالوا أضغاث أحلام ، بل افتراء ، بل هو شاعر ، فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ﴾ (١) .

٢ — ويقول عز شأنه ﴿ والشعراء يتبعهم الغاؤون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيراً واتقوا من بعد ما ظلموا ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ (٢) .

٣ — كما قال جات حكمته ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين ﴾ (٣) .

٤ — وقال — وهو أصدق القائلين — ﴿ ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ، بل جاء بالحق وصدق المرسلين ﴾ (٤) .

---

(١) سورة الأنبياء ، آية ٥ (٢) الشعراء ، آيات ٢٢٤/٢٢٧

(٣) سورة يس آية ٦٩ (٤) سورة الصافات ، آية ٣٦/٣٧

٥ - ويقول سبحانه ﴿ فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ، أم يقولون شاعر تتربص به ريب المنون هل تربصوا فأني معكم من المتربصين ﴾ (١) .

٦ - وقال الحق - تبارك وتعالى ﴿ فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون ، إنه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر قليل ما تؤمنون ، ولا بقول كاهن قليل ما تذكرون ، تنزيل من رب العالمين ﴾ (٢) .

وحين نتدبر معاني الآيات الكريمة فسنجد أنها تتجه إلى ثلاثة اتجاهات ، أو تتعرض لثلاث قضايا هي :  
١ - اتهام الكفار للرسول - ﷺ - بأنه شاعر ، ونفي القرآن لهذه التهمة الباطلة .

٢ - ادعاء الكفار والمشركين أن القرآن العظيم شعر أو من كلام الشعراء ، ودفع الآيات البينات لهذا الادعاء .

٣ - أما القضية الثالثة التي تناولها الآيات فهي حديث عن الشعراء وسلوكهم ، فتقسمهم إلى فئتين بحسب سلوك كل فئة ، ثم تحدد مصير المشركين الظالمين .

١ - القضية الأولى : نفي صفة الشاعرية عن الرسول - ﷺ -  
فلا هو شاعر يمتلك سوهبة الشعر ، ولا هو قد تعلم وأجاد أدوات الشعر

---

(١) الطور : آية ٣٩/٣٠

(٢) الحاقة : آيات ٣٨/٤٣

وعلموه . وقد تكررت مناقشة هذه القضية في عدة آيات هي قوله سبحانه :

- (١) ﴿ بل هو شاعر . . ﴾ الأنبياء ، آية ٥
  - (٢) ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﴾ يس ، آية ٦٩
  - (٣) ﴿ ويقولون أننا لئنا لماركوا آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ الصافات آية ٣٦
  - (٤) ﴿ أم يقولون شاعر نترصد به ريب المنون ﴾ الطور ، آية ٣٠
- لقد بهت الكافرون حين واجههم الرسول - صلوات الله وسلامه عليه بالقرآن ، كلام إلهي لا يأتيه الباطل ، ولا يدانيه في البلاغة والبيان أي كلام آخر ، وأسقط في يد المكابرين لأنهم لم يجدوا ما يردون به عليه من منطق سليم وحجة واضحة ، فليس إلا العناد والمكابرة ، والانحراف إلى قضايا فرعية ، وادعاءات كاذبة ، واتهموا الرسول - وهو الصادق الأمين - بأنه شاعر ، مثلما اتهموه بأنه ساحر ، أو كاهن ، أو مجنون ، أو يتلقى عن الشياطين ، أو يعرف أساطير عن الأمم الغابرة فيحكىها ، أكاذيب وافتراءات يتصدى لها القرآن العظيم بآياته البينات فيفندها واحدة بعد أخرى ، نافيا تلك الصفات التي يحاول المشركون إلصاقها بالرسول الكريم بغيا وعدوانا .

ولو رجعنا للآية رقم واحد - وهي من سورة الأنبياء - لوجدنا قبلها آيات كثيرة تحكي إعراض الكفار عن ذكر الله ، وإصرارهم على رفض ما يأتيهم به الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - لأنه - كما يدعون - بشر مثلهم ، ولا بد أن القرآن - حسب ظنهم مسحر أو شعر أو خيالات نائم ، يقول - جلت حكمته -

( ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون ،  
لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم  
أفتأتون السحر وأنتم تبصرون ، قال ربى يعلم القول فى السماء والأرض  
وهو السميع العليم ، بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراء بل هو شاعر فليأتنا  
بآية كما أرسل الأولون ) .

أما الآية رقم ثلاثة فهى نفي صريح لمعرفة الرسول الكريم بنفى  
الشعر وأدواته ( وما علمناه الشعر وما ينبغي له ) ثم تأكيد جازم  
بأن ما يأتى به هو قرآن يبين الحق ، ويهذى إلى سواء السبيل ليذكر  
أولوا الألباب ، وقد استخدم أسلوب الحصر فنهى أن يكون أى شئ  
مما عرفه البشر ( إن هو إلا ذكر وقرآن مبين )

وفى الآيات رقم خمسة يدعى الكفار والمشركون على الرسول  
عليه السلام ، صفة الجنون زيادة على الشاعرية ويعود القرآن  
من جديد إلى نفي الادعاء بالمنطق الواضح والحجة البينة ( بل جاء  
بالحق وصدق المرسلين ) ثم تتوالى التهم فنجد الكهانة  
بالإضافة إلى الشاعرية والجنون ، ويأتى النفي صريحا قاطعا ( فذكر فما  
أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ) .

ولا تتوقف الافتراءات بل تزداد ، فيكون السحر والكذب :  
( وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب ) ( ١ )  
ولم يكن كفار مكة ومشركو قريش هم أول من افتروا على الرسل تلك

---

( ١ ) سورة ص ، آية ٤

الصفات ، لقد حكى الله جل شأنه عن تكذيب الكفار لأنبيائهم منذ إبراهيم وموسى وصالح ونوح - عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه (كذلك ما أنى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون) (١) .

إن الجوهر في هذا النفي ، والمهدف الأسمى منه هو إثبات نبوة محمد عليه السلام ، وكونه رسولا من عند الله ، فلا هو شاعر ولا ساحر ، وليس بكاهن ولا مجنون ، إنه رسول الله ، وهذا التأكيد على نفي جميع الصفات غير صفة النبوة والرسالة هو في نفس الوقت إثبات للوحى ، وأن ما جاء به قرآن تلقاه عن ربه بطريق جبريل عليه السلام .

فليس في نفي الشاعرية غض من شأن الشعر ، أو تقليل لقيمة الشعراء ، فلقد كان ، عليه سلام الله أمياً ، ومع ذلك رفع الإسلام العلم والعلماء إلى أعلى الدرجات .

وقد فسّر « ابن رشيق » الآية قائلاً ( وما علمناه الشعر وما ينبغي له ) معناها : ما الذى علمناه شعراً ، وما ينبغي له أن يبلغ عنا شعراً . ولو أن كون النبي ﷺ غير شاعر غض من الشعر ، لكافت أميته غضاً من الكتابة ، (٢) ولو تروى الشعر كون قليلاً لما اندفعوا إلى وصف النبي الكريم بالشاعرية ، فهو لم يؤثر عنه نظم الشعر أبداً قبل البعثة أو بعدها ،

---

(١) سورة الفاريات ، آية ٣٥

(٢) العمدة لابن رشيق : ج ١ ص ٣١ من قراءة في الأدب الإسلامى والأموى : د . عبد العزيز المواقى ص ٧

كان يسمعه فقط ولكنه لا يثبته ، وحين يريد الاستشهاد بشيء منه ، كان يطلب من أحد الصحابة قوله ، أو يثبته بعد تغيير ترتيب الجمل والكلمات حتى يخلو وزنه ويفقد خاصية الشاعرية .

وقد حاول بعض الدارسين تقصى الحكمة الإلهية في حفظ الرسول منزها عن قول الشعر ، فقالوا إنه بحث بين قوم يفخرون بروعة البيان وسحر الشعر ويزهون بالبلاغة ، وكانت معجزة الرسول وبرهان رسالته - للقرآن - معجزة بيان ساحر وبلاغة رائعة ، فلو كان الرسول ينظم الشعر لاختلط نظمه مع القرآن ، والتبس على الناس .

وفي رأي أن هذا غير لازم لسببين : أولهما أن القرآن لون من البيان يخالف الشعر تماما ، فلن يختلط به ولن يلتبس على قوم تدرسوا قرونا بالشعر وفنونه كعرب الجزيرة .

وثانيهما : أن الله تعالى قد عهد بحفظ القرآن من التحريف والتزييف ، ومن الخلل والالتباس ( إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ) (١) وكان نزول القرآن بالنص (٢) ومنجما ، وتحفيظ الرسول إياه ، ومراجعته فيه مرة بعد أخرى وتوجيه الله له بالترث والناة : ( لا تحرك به لسانك لتعجل به ، إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع )

---

(١) سورة الحجر ، آية ٩ (٢) كانت الكتب الأخرى تنزل بالمعنى الذي تعدد صياغاته فيدخله التحريف والادعاء .



قرآنه ، ثم إن علينا بيانه (١) .

وكذلك ذهب البعض إلى أن حكمة نفي الشعارية عن الرسول تكون في أنه لو نظمه لوجب تفوقه على الجميع لتكون آية ، وإن يكون له التفوق في نظرهم إلا إذا سار على مقاييسهم في الشعر ، من هجاء ممدوح ، وغر كاذب وغزل جارج ، وحديث عن الجحر والميسر ، وأوهام وخيالات مضللة ، وكل ذلك يتعارض مع طريق النبوة ومبادئ الإسلام ، ولو كان الرسول شاعراً لظن الكفار أن بلاغة حجته وجوامع كلمه تأتي له من الشعر وتأثيره ، وسوف يدعون أن بلاغة القرآن وإعجازه البياني هو من وحى الشياطين الذين يوحون للشعراء أيضاً ، وقد كان نفي الشعارية عنه كذلك دحضا للظن بأن رسالته خيالات ورؤى ، وأن القرآن شعر من نوع جديد ، وكان نفي الشعارية عن الرسول ضرورياً لما عرف من بعض الشعراء من سلوك شائن ، فلا يصح أن يتصف الرسول بصفة تضمنه موضع ريبة واتهام .

والمهم في كل ذلك أن النفي لا يتوجه إلى الشعر في ذاته ، ولكن هدفه تنزيه الرسول عن كونه شاعراً ، لأن الشعر يقوم على التخيل والوهم والمبالغة ، بينما يقوم منهج الرسالة على اليقين وقوة الإقناع ، ووضوح المنطق ، ونهاية الحجة ، فمنهج الشعر يخالف ويتعارض مع منهج الرسالة بصرف النظر عن إصافه بالحسن أو القبح .

---

(١) سورة القيامة آية ١٦ - ١٩

٢ — القضية الثانية : مناقشة الادعاء بأن القرآن شعر . ومن

الواضح ارتباطها بالسابقة وتداخلها فيها ، إذ من المفطى أنه ما دام الرسول الكريم ليس شاعراً ، فإن القرآن ليس شعراً ، وبمعبر آخر ، ليس القرآن شعراً ولا يشبه الشعر ، لأن النبي الذي بالغة عن ربه لم يكن ينظم الشعر ، ولا يعرف أساليبه وفنونه .

وقد وردت هذه القضية واضحة بيّنة في الآيات رقم (٦) ﴿فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون ، إنه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر قليل ما تؤمنون ، ولا بقول كاهن قليل ما تذكرون ، تنزيل من رب العالمين﴾ .

على أن الآيات رقم (١) تتناول القضية أيضاً في قوله تعالى ﴿بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراء﴾ ثم يؤكد سبحانه ﴿بل جاء بالحق﴾ .

لقد كان الهدف من نفي الشاعرية عن الرسول الكريم هو إثبات نبوته ، وتلقيه الوحي عن ربه ليبلغه إلى أمته ، ثم إلى البشرية كافة ، وهذا الوحي هو القرآن الكريم — كلام الله — نقله جبريل — عليه السلام — إلى محمد ﷺ فهو ليس تخيلات وأوهام نائم ، كما ادّعوا في الآيات رقم (١) ولا هو قول شاعر أو كاهن كزعمهم في الآيات رقم (٦) ، وهو كذلك ليس مسجراً أو مساطير كما تخرصوا في آيات أخرى ، ولكنه الحق الذي يتفق مع ما جاء به الرسل السابقون حسب ما تؤكد الآيات رقم (٤) ، ثم هو قول رسول كريم ، مُنزل عليه من رب العالمين كما تقطع الآيات رقم (٦) . وتنزيه القرآن عن أن يكون شعراً غاية إثبات أنه كلام الله فقط ، ولم

يكن قصده التهوين من قيمة الشعر ، والأمر في ذلك مثله مثل تنزيه القرآن الكريم عن كونه سحراً ( وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا الا سحر مبين ) (١) وكذلك نفى ما ادعوه من أن القرآث قول من الشيطان ( وما هو بقول شيطان رجيم ) (٢) وادعى الكفار فيما ادعوه أن القرآن من الأساطير ( وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين ) (٣) .

ولا مرء في أن هدف الكفار والشركين من ادعاءاتهم ، هو تكذيب الرسول - ﷺ ورفض نبوته ، فكان المنطق هو رد القرآن الكريم بتفنيد افتراءهم وإثبات نبوة محمد الأمين ، وصدقه فيما بانغه عن ربه . وحول ادعاء الكفار بأن القرآن شعر ، يبدي باحث فاضل ملاحظة تقول د من الغريب أن الرسول الكريم الذي لم يكن يعلم الشعر ، كان يدرك أن ما يوحى إليه ليس شعراً ، على حين أن أهل مكة الذين يفترض أنهم كانوا يعرفون الشعر حين يسمونه أويروونه ، ظنوا بأن هذا الوحي كان شعراً ، وكان المتوقع عكس ذلك - انظر دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي ، ترجمة د . عبد الرحمن بدوي (٤) ونرد على تساؤله في نقطتين :

- 
- (١) سورة سبأ ، آية ٤٣ (٢) سورة التكموير ، آية ٢  
(٣) سورة النحل ، آية ٢٤ (٤) قراءة في الأدب الاسلامي  
والأموي ، د . عبد العزيز المواقى ، ص ٦ الهامش \*

(١) لا أظن أنه من الصواب القول عن عربي عاش في مكة أيام الجاهلية «لم يعلم الشعر» ، إلى الدرجة التي لا تمكنه من التمييز بينه وبين فنون القول الأخرى ، والرسول - صلوات الله وسلامه عليه - قد سمع الشعر طوال حياته ، وكان يوجب بالجميل منه ويستنشده ، ويفاضل بين الشعراء . حقيقة أن المناضلة قد تكون على أسس خلقية ودينية غالباً ، لكنها لا تخلو عن معايير فنية أيضاً بدليل أنه حين أراد اختيار شاعر مسلم للرد على هجاء قريش له ، استمع إلى «عبد الله بن رواحة» وكتب بن مالك وحسان بن ثابت ، وفضل اختيار حسان رغم تساوي الثلاثة في اعتناق الإسلام ، والإيمان بقيمه والاستعداد للدفاع عنه وعن رسوله عليه السلام ، فلا شك أنه وجد في حسان مقدرة فنية ، وتمكناً من أدوات الشعر ، يؤهله للنجاح في أداء المهمة أكثر من رفيقيه ، أما قوله تعالى ﴿وما علمناه الشعر﴾ فلا يعني بالتأكيد - جهل الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - بالتفريق بين الشعر وغيره ، وإنما يعني أن الرسول لا ينظم الشعر ولا يمتلك الموهبة .

(٢) وكون الكفار يظنون أن القرآن شعر ، تعبير غير دقيق ؛ لأنهم في قرارة نفوسهم متأكدون أن القرآن ليس شعراً ، وإنما أرادوا بهذا الادعاء إثارة غبار الأكاذيب حول النبي الكريم ، وحول القرآن مكبرة وعناداً ، وشغلاً للناس عن قضية الإيمان بالدين الجديد بقضايا فرعية ، فهم لا يظنون ولا يلتبس عليهم أمر القرآن وكونه ليس شعراً ، ولكنهم يدعون ويكذبون ، بدليل ادعائهم بأنه سحر وأساطير وخیالات نائم ،

وهم حين أطلقوا تلك الافتراءات كانوا قد خططوا لها رشاورا فيها ،  
لقد حكى أنهم اجتمعوا يتداولون أمرهم حول كيفية مواجهة الرسول  
الكريم ، وتكذيبه ، لصرف الناس عنه وعن رسالته ، فقالوا فنتهمه  
بالكهانة ، فرد الوليد بن المغيرة قائلا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا  
الكهان ، فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعهم . قالوا : فنقول بهنون ،  
قال : ما هو بهجنون ، لقد رأينا الجنون وعرننا ، فما هو بخنقة  
ولا تخالجه ولا وسوسته .

قالوا : فنقول شاعر ، قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله :  
رجزه وهزجه وقريضه ، ومقبوضه وبسيطه ، فما هو بالشعر ، (١) ومن  
ذلك يتبين أن كفار مكة ومشركيها لم يلبس عليهم الأمر ولا ظنوا أن  
القرآن شعر ، ولكنه العناد الذي يورث الكفر ، والمكابرة التي تعمى  
عن الحق ، والجدل الأجوف لا يبنى معرفة الحقيقة أبدا ، وإنما يهدف  
إلى التضليل والبليلة .

وفي مجال البليلة وإثارة الغبار ، ربما تدخل قضية فرعية أخرى هي  
وجود آيات من الذكر الحكيم على أوزان شعرية معروفة (٢) وربما  
اجتمع إلى الوزن انداق المواضع في آيات كثيرة ، وهو ما يشبه القافية  
في الشعر . ومن تلك الآيات قوله تعالى :

---

(١) نحو أدب إسلامي معاصر : أسماء يوسف شهاب ص ١١٦

(٢) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي : د . محمد عبد القادر

أحمد ص ٤٦/٤٧

- (١) ﴿إِنْ يَنْتَهُوا يَنْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ (١)  
 ﴿هِيَاتَ هِيَاتَ لَمَّا تَوْعَدُونَ﴾ (٢) .  
 ﴿لَمَثَلُ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ (٣) .  
 ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا ، وَذُلَّتْ فُطُوفُهَا تَذَلِيلًا﴾ (٤) .  
 ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ، فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ (٥) .  
 ﴿تَبَّتْ يُدَا أُبَى لُحْبٍ وَتَبَّ﴾ (٦) .

وآيات أخرى من هذا النوع ، وقد رد الجاحظ على من يتوهم وجود الشعر في القرآن قائلاً « اعلم أنك لو اعترضت أحاديث الناس وخطبهم ورسائلهم ، لوجدت فيها مثل : مستفعلن فاعان كثيراً ، وليس أحد في الأرض يجعل ذلك المقدار شعراً . ولو أن رجلاً من الباعة صاح : من يشتري باذنجان ، لقد تكلم بكلام في وزن : مستفعلن مفعولان ، فكيف يكون هذا شعراً وصاحبه لم يتصد إلى الشعر ؟ ومثل هذا المقدار من الوزن قد يتهياً في جميع الكلام . وإذا جاء المقدار الذي يعلم أنه من نتاج الشعر والمعرفة بالأوزان والقصد إليها كان ذلك شعراً ، (٧) .

ولا ريب أن اشتراك باحثين عرب في مناقشة هذه النقطة قد يوقع البعض في الخطأ ، ولكننا يجب أن نفرق بين الهدف التعليمي للباحثين

(١) سورة الأنفال ، آية ٣٨ (٢) المؤمنون ، آية ٣٦

(٣) الصافات ، آية ٦١ (٤) الإنسان ، آية ١٤

(٥) العاديات ، آية ١ ، ٢ (٦) المسد ، آية ١

(٧) البيان والتبيين : ج ١ ص ١٥٤ دار صعب ، بيروت .

العرب ، وهو الذى يسعى إلى رصد الظواهر الفنية فى القرآن الكريم ، وإثبات أنه معجز ، ورغم وجود آيات على بعض الأوزان الشعرية ، إلا أنها ليست شعراً ، وهى تسمو وتنزه عنه ، والشعر لا يشابهها ولا يداينها ، فى حين أراد المناقون والمستشرقون من إثارة تلك النقطة إحياء زعم مشركى مكة وكفارها بأن القرآن ليس وحياً من الله ، وأنه من صنع بشر ، وفيه ما يشبه الشعر وعائلته .

والأقرب للهدى أن ندع مثل هذه المناقشات حتى لا نقع فى الخطأ .

٣ — القضية الثالثة : حديث عن الشعراء ، وهو ما ورد

فى قوله تعالى ﴿ والشعراء يتبعهم الغاؤون ﴾ ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون ، إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ﴾ إن الآيات تحدثت عن فريقين من الشعراء : فريق مذموم منضوب عليه ، لأسباب تتعلق بسلوكه ، وأسلوب حياته ، ولا تتعلق أبداً بموهبة الشعر ونظمه .

وفريق مرضى عنه محمود عند ربه لأسباب تتعلق هى الأخرى بالتصرفات ومنهاج الحياة ولا تمس الشاعرية من قريب أو بعيد . وقد ذكر صاحب الكشف (١) فى أسباب نزول هذه الآيات ، أنها نزلت فى الشعراء المشركين : عبد الله بن أبى وهب ومسافع بن عبد مناف

(١) تفسير الكشف ، ج ٢ ص ٤٤٠ ، من دنجو أدب إسلامى معاصر ،

ص ١١٧

وأبي عزة الجهمي وأميرة بن أبي الصمات ، قالوا نحن نقول مثل قول محمد ،  
 وكانوا يهجونهم ، ويجمع إليهم الأعراب يستمعون إلى أشعارهم وأهاجيمهم ،  
 ولذلك فهم الغاوون الذين يتبعونهم ، كما يحكي ابن كثير أنه بعد نزول  
 هذه الآيات توجه حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك  
 إلى الرسول وهم ييكون ، قالوا قد علم الله حين أنزل هذه الآية أننا  
 شعراء ، فقال النبي قوله تعالى ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾  
 وقال : أنتم ، ثم قوله تعالى ﴿ وذكروا الله كثيرا ﴾ .

قال : أنتم ، ثم أكمل : ﴿ وانتهروا من بعد ما ظلموا ﴾ وقال : أنتم ،  
 ويعقب أبو هلال المسكري على هذه الآيات قائلا « واستثناء الله  
 عز وجل في أمر الشعراء يدل على أن المذموم من الشعر إنما هو الممدول  
 من جهة الصواب إلى الخطأ ، والممدول من جهة الإنصاف والمعدل إلى  
 الظلم والجور ، وإذا ارتفعت هذه الصفات ارتفع الذم ، ولو كان الذم  
 لازما لكونه شعرا لما جاز أن يزول على أي حال من الأحوال » (١) .

وبالرغم من وضوح الآيات في نصها على المذموم من الشعراء  
 واستثناءها لغيرهم ، لكن البعض قد سارع إلى تصور خاطئ يحمل  
 القرآن معاديا للشعر والشعراء ، ولذلك يشير إليهم « ابن رشيق »  
 قائلا « فأما احتجاج من لا يفهم وجه الكلام بقوله تعالى

---

(١) الصناعتين ص ١٣٢ ، نحو أدب إسلامي معاصر ص ١١٠



( والشعراء يتبعهم الغاؤون . . ) الآية فهو غلط وسوء تأمل ، لأن  
 المنصود بهذا النص شعراء المشركين الذين تنازلوا الرسول - ﷺ -  
 بالهجاء ومستوه بالأذى ، فأما من سواهم من المؤمنين فغير داخل في شيء  
 من ذلك ، ألا تسمع كيف استثناهم الله عز وجل ونبه عليهم فقال ( إلا  
 الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد  
 ما ظلموا ) يريد شعراء النبي ﷺ ، ينتصرون له ويحببون المشركين  
 عنه (١) .

ومن عجب أن يقع في هذا الغلط وسوء التأمل منكر مثل الجاحظ ،  
 له ذكاؤه وبصيرته ، وقدرته على الفهم ، يقول وقال الله تعالى وقوله  
 الحق ( وما علمناه الشعر ) ثم قال ( وما ينبغي له ) ثم قال ( ألم تر  
 أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون ) فعمم ولم يخص ،  
 وأطلق ولم يقيد ، فمن الخصال التي ذمهم بها تكلف الصنعة والخروج إلى  
 المباهاة ، والتشاغل عن كثير من الطاعة ومناسبة أصحاب التشديق ، (٢)  
 وواصل الجاحظ كلامه مستهاردا مطيلا دون إشارة إلى من استثناهم الله  
 عز وجل في الآية من الشعراء المؤمنين الصالحين والمرضى عنهم ، مما يجعل  
 القارئ يتصور أن الذم للشعراء جميعا ، وهو ما يتعارض وباقي الآية .  
 ولكن الصواب أن نفيهم الآية على وجهها الصحيح ، والذي يقسم الشعراء  
 إلى طائفتين :

(١) العمدة ، ج ١ ص ٣١ ، قراءة في الأدب الإسلامي والاموى

ص ٨

(٢) البيان والتبيين ج ٢ ص ٥٧٢

طائفة المشركين الذين صدوا عن دين الله ، وحاربوا النبي وآذوا المسلمين ، فهاموا بوادي الضلالة واتبعوا سبيل الضواية ، أولئك ساءت عاقبتهم ، وإلى جهنم يحشرون .

والطائفة الثانية هم الشعراء المؤمنون الصالحون الذاكرون الله كثيرا ، الذين نصروا الله ورسوله ، وانتصروا لأنفسهم ممن ظلمهم ، أولئك هم مرضى عنهم ويغفر الله لهم وبالجنة يبشرون . وهذه هي الآية الوحيدة التي تتحدث عن الشعراء وسلوكلهم ، وهي تعالج الأمر من زاوية إنسانية بحجة : كل إنسان - شاعر أو غير شاعر - إن آمن وعمل صالحا ونصر الله ورسوله ، فله الجنة .

وكل إنسان - شاعر أو غير شاعر - إذا كفر وصد عن سبيل الله وتعرض بالأذى للرسول والمسلمين ، فله النار وبئس المصير .

خلاصة القول إذن في موقف القرآن الكريم من الشعراء .

١ - لم ينزل في القرآن تحریم واضح صريح للشعر ، ولا ذم له من حيث كونه فنا تعبيريًا جميلًا ، ولكنه يُذَمُّ إذا حاد عن طريق الخير والحق ، وكذلك كل شيء .

٢ - لا يحوى القرآن الكريم نقداً للشعراء من حيث كونهم شعراء ، ولكنهم كبقية البشر : إن أحسنوا أثبوا ونالوا المدح والثناء ، وإن أساءوا عوقبوا واستحقوا الذم والهجاء .

٣ - نفى شاعرية الرسول مثلها مثل نفى صفات أخرى ، أو تنمى أخرى ، بهدف إثبات النبوة وتكذيب المشركين والكفار في ادعاءاتهم ،

وليس تزيلا من الشعر ، ولا خطأ من شأن الشعراء ، إنما إثبات لتلقيه  
الوحي عن ربه .

٤ — تنزيه القرآن عن كونه شعرا هو إثبات لـ كونه كلام الله ،  
ونفى أى صفة أخرى ادعاها المشركون كالسحر والأساطير والتخييلات ،  
فليس فى هذا التنزيه تحقير للشعر أو غرض من قيمته ، هو تنزيه للقرآن  
عن مشابهة كلام البشر .

والقول الحق هو أن الشعر فى نظر القرآن — كأى نشاط  
إنسانى — له حدوده وشرائطه التى تتفق مع مبادئ الإسلام  
وقيمه ، فإن التزم بتلك الحدود ، وراعى هذه الشرائط ، فلم يخرج عن  
الإطار العام للدين ، وجد مكانه فى المجتمع الإسلامى ، ونما وازدهر  
بلا محاربة أو نقد . وإن أعرض عن تلك الشرائط وجاهر بما ينافى  
جوهر الدين ، ويخالف قيمه ومبادئه فلا مكان له ، وهو مطارذ مذموم  
كأى نشاط مدمر مخرب .

بقى أن نتعرف على رأى السنة المطهرة ، وموقفها من الشعر ، فهى  
المصدر الثانى للتشريع بعد القرآن ، وهى مفسرة ومفصلة لما أجمل أو غمض  
من آياته وقد حثنا الله جل شأنه على الطاعة التامة للرسول الكريم والاختصاص  
والتسليم بما يحكم ويقول (والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ،  
وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى) (١) .

وعلى ذلك فنحن فى استعراضنا لأحاديث الرسول ﷺ — ومواقفه

(١) سورة النجم ، آيات ١ ، ٤

من الشعر والشعراء ، نضع في اعتبارنا أنها لا يمكن أن تعارض أو تناقض  
أو تخالف آيات القرآن في نفس المجال ، وإذا بدا في ظاهرها أدنى مخالفة ،  
فالأولى أن نراجع أنفسنا وفهمنا ، ونراجع الرواية ، وكذا بقية  
الاحاديث والمواقف حتى نصل إلى الحق والصواب وإلى المعنى المراد فعلا .

ثانيا : موقف الرسول - عليه السلام - قولا وفعل

سنة النبي - عليه صلوات الله وسلامه - أقوال وأفعال أو هي آراء ومواقف ، أقوال هي ما يعرف بالأحاديث الشريفة ، وقد حفظت ودونت وحفظت لتكون مرجعا للأحكام والفتاوى . والأفعال هي تصرفات وأنواع من السلوك صدرت عن الرسول الكريم في ظروف وأحداث فتتألف الرواة لتكون - أيضا - مثالا يحتذى وهدى يتبع . وسوف نتأمل في هذه الأحاديث أو الأقوال ، كما نستقرئ تلك التصرفات والأفعال حق نصل إلى الحقيقة .

والسنة المطهرة في موقفها من الشر والشمراء قد ترحب وتحيب وتثيب ، وقد تقف محايدة موضوعية فترضى عن الشر إن أصاب طريق الحق ، وتأباه وترفضه إن ضل وانحرف ، ثم هي قد تمارضه وتطارده لسبب منطقي ودفاعا عن الهدى والهدى .

هناك إذن مواقف ثلاثة : كراهة ، موضوعية ، ترحيب . ولنبدأ بموقف الكراهة والمعارضة ، لأن نصوصه قليلة محدودة ، وسوف يفسرها ويرد عليها ما يرد من أحاديث وأفعال في النوعين الآخرين .

أولا : موقف الكراهة ، أقوال وأفعال : عن أبي هريرة .

١ - لأن يمتليء جوف رجل قيعا حق يريه ، خير له من أن يمتليء شعرا (١) .

(١) فيض "التقدير" : ج ٥ ، ص ٢٥ حديث رقم ٧٢١٨

يريه : يلاحظه ويخرجه من فيه .

(٢) وفي رواية أخرى «لأن يمتليء جوف الرجل قيحا حتى يريه»  
خير له من أن يمتليء شعرا» (١) .

(٣) وفي رواية ثالثة «لأن يمتليء جوف أحدكم قيحا خير له من أن  
يمتليء شعرا» (٢) .

(٤) وهناك رواية رابعة لنفس الحديث «لأن يمتليء جوف أحدكم  
دما أو قيحا خير له من أن يمتليء شعرا» .

(٥) يروى في نصين فقط أن رسول الله - عليه السلام - قد نهى  
عن رواية قصيدة أمية بن أبي الصلت في رثاء قتلى قریش يوم بدر، وقصيدة  
«الاعشى» التي يرثي بها «علقمة بن علاثة» ، قال البغدادي في خزانته :  
ذكر أن النبي - ﷺ - رخص في الأشعار كلها إلا هاتين الكامتين :  
كلمة أمية بن أبي الصلت في أهل بدر ، وكلمة الاعشى في علقمة  
بن علاثة» (٣) .

(٦) عن أم المؤمنين - عائشة - رضى الله عنها : قال صلوات الله  
وسلامه عليه : «اللهم من هجاني فالمنه ، فكأن كل هجاء هجانة  
لمنة» (٤) .

---

(١) سنن ابن ماجه : كتاب الأدب ، باب ما كره من الشعر ص ٤٢

(٢) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي ص ٤٣

(٣) نحو أدب إسلامي معاصر .

(٤) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي ص ٤٣

(٧) حين أسلم «بجير بن زهير بن أبي سلمى» أرسل إليه أخوه «كعب بن زهير» يلومه على تركه دين آبائه ، ويتطاول على الرسول الكريم في شعره ، فأهدر الرسول دمه وأباح قتله .

(٨) كذا أثر عن النبي - ﷺ - أنه أهدر دم الشعراء الذين هجوه ، واعتدوا على أعراض المسلمين .

(٩) وأمر الرسول بقتل رجل ممن كانوا يهجونه وهرب ابن الزبير السهمي وهبيرة بن أبي وهب المخزومي خوفاً لهجاء رسول الله (١) .

ولنناقش هذه النصوص والأخبار نقاش العقل والمنطق :

(١) يقول العلامة « المناوي » صاحب فيض القدير « في شرح الحديث ، خير له من أن يقتل شعرا ، أنشأه أو أنشده لما يؤول إليه أمره من تشاغله به عن عبادة ربه ، قال القاضي : والمراد بالشعر ما تضمن تشبيها أو هجاء أو مفاخرة ، كما هو الغالب في أشعار الجاهلية .

وقال بعضهم : قوله « شعرا » ظاهره العموم في كل شعر ، لكنه مخصوص بما لم يشتمل على الذكـر والزهد والمواعظ والرقائق مما لا إفراط فيه .

وقال النووي : هذا الحديث محمول على التجرد للشعر بحيث يغاب عليه فيشغله عن القرآن والذكر .

---

(١) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي ص ٤٣



عن سعد وأبي سعيد قالا : بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ ، إذ  
هرض شاعر ينشد ، فقال رسول الله ﷺ : خذوا الشيطان أو امسكوا  
الشيطان ، ثم ذكر الحديث السابق ، (١) .

كما ورد في سنن ابن ماجه شرحاً للحديث ، وقد فسره الفقهاء على  
أنه المقصود أن يغلب الشعر على الرجل يشغله عن ذكر الله وعن القرآن  
والحديث ، (٢) .

وقبل أن نتخذ رأياً في الحديث نشير إلى أن عائشة - أم المؤمنين  
رضي الله عنها - قالت حين سمعت رواية أبي هريرة : لم يحفظ أبو هريرة  
الحديث ، إنما قال رسول الله ﷺ لأن يمتليء جوف أحدكم قيعاً ودماً ،  
خير له من أن يمتليء شعراً مهجيت به ، (٣) .

وبهذا التصحيح من أم المؤمنين ينجلى الحق ، فلا ريب أن السنة  
النبوية تشرح القرآن وتوضحه ، فلو أخذنا برواية أبي هريرة لكان  
الحديث مخالفاً للقرآن ولأقوال وأفعال أخرى للرسول المصطفى ، أما  
رواية عائشة رضي الله عنها فتحدد الشعر المذموم - هجاء الرسول -  
وهو ما يوافق آي القرآن وما يؤكد الحديث رقم (٦) الذي يلمن من

---

(١) فيض القدير ، ج ٥ ص ٢٥٩ - الشرح .

(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب الأدب ، باب ما كره من الشعر ص ٤٢ .

(٣) نحو أدب إسلامي معاصر ص ١١١ .

هجا رسول الله ، وهو كذلك لا يتعارض مع رأى النبي وموقفه - ﷺ من الشعر والشعراء عامة ، وبالطبع ينسحب ما قلناه على بقية الروايات الأخرى لنفس الحديث ، وكذا فإن الحديث رقم (٥) يثبت صحة هذا التفسير ، فالتصديدتان المنهى عنهما تخوضان في أعراض المسلمين وتمجدان الكفر وتهاجمان الدين الحنيف ، ودليل ذلك أن أشعاراً كثيرة لامية بن أبي الصلت كانت تعجب الرسول عليه السلام ، وأن أشعار الأعشى - غير ما ذكر - كانت تنشد بلا غضاضة .

بقيت مواقف الرسول - عليه السلام - ممن هجوه ، حين أهدر دمه وقتل من بقي على كفره حين ظفر به ، ولا شك أن ذلك يتفق وينسجم مع الحديث رقم (٦) ومع رواية أم المؤمنين للحديث الأول ومع القرآن (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) (١) ودليل ذلك أن من تاب منهم عفى عنه الرسول وأكرمه ، مثل كعب ابن زهير وغيره .

بقي ما ورد في شرح الحديث الأول عند المناوي من حديث سعد وأبي سعيد عن قول المصطفى حين عرض شاعر ينشد : دخذوا أو امسكوا الشيطان ، لم يوضح الراوى نوع ما كان ينشده من شعر ، فإعله كان هجاء مرذولاً يكفر صاحبه ، وإعله فحش من القول يستحق قتله الرجم ، وربما كان هياماً في أودية الضلال يجب أن يحارب ، وما كان رسول الله ليقول عنه : الشيطان ، إلا لسبب مما ذكر .

---

(١) سورة الشعراء آية ٢٢٧

- ٢ — الموقف الموضوعي المحايد : يحسن ما كانت حسنا موافقا لمبادئ الدين وقيمه ، ويحارب ما كان سيئا منافيا للدين وقيمه .
- ١ — عن عائشة - رضى الله عنها - الشعر بمنزلة الكلام ، فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام ، (١) .
- ٢ — ورواية أخرى لنفس الحديث : إنما الشعر كلام مؤلف ، فما وافق الحق منه فهو حسن ، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه ، (٢)
- ٣ — وتقول أم المؤمنين في رواية أخرى : الشعر فيه كلام حسن وقبيح ، نخذ الحسن وازك القبيح ، (٣) .
- ٤ — ولهذا الحديث رواية رابعة أنه عليه السلام قال : إنما الشعر كلام ومن الكلام خبيث وطيب ، (٤) .
- ٥ — لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين (٥)
- ٦ — عن ابن عباس : آمن شعر أمية بن أبي الصلت ، وكفر قلبه ، (٦) .

(١) فيض القدير : ج ٤ ص ١٧٥ ، حديث رقم ٤٩٣٩

(٢ ، ٣) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي ص ٤٠

(٤) نحو أدب إسلامي معاصر ص ١١٨

(٥) فيض القدير : ج ١ ص ٥٧ رقم ١٩

(٦) المرجع السابق ج ١ ص ٥٢٤ حديث رقم ١٠٦٧

٧ - عن أبي هريرة د أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لييد :  
ألا كل شيء ما خلا الله باطل ، (١) .

٨ - عن النبي ﷺ د ما وُصف لي أعرابي قط فأحببت أن يراها  
إلا عنقرة ،

٩ - امرؤ القيس صاحب د لواء الشمراء إلى النار ، عن أبي هريرة  
وعنه أيضا د امرؤ القيس قائد الشمراء إلى النار لأنه أول من أحكم  
قوافيها ، (٢)

١٠ - قال يزيد بن مسلم الخزاعي عن أبيه ، عن جده ، قال  
دخلت على النبي ﷺ - ومنشدته ينشده قول شريك بن عامر المطلق :

لا تأمنن ، وإن أمشيت في حرم  
إن المنايا تحمى كل إنسان  
والخير والشر مقرونان في قرن  
بكل ذلك يأتيك الجديدان  
فقال النبي ﷺ د لو أدرك هذا الإسلام لأسلم ، (٣)  
١١ - حين سمع الرسول عليه السلام قول طرفة بن العبد :  
منبدي لك الأيام ما كنت جاهلا  
ويأتيك بالآخبار من لم تزود  
قال عليه السلام : وهذا من كلام النبوة ، (٤)

---

(١) نحو أدب إسلامي معاصر ص ١١٨ (٢) فيض القدير

ج ٢ ص ١٨٦ (٣ ، ٤) المعقد الفريد ج ٣ ص ٩٨ / ١٠١

(١٢) حين أنى الطفيل بن عمرو السدوسي إلى الرسول ﷺ وأنشده

أبياته :

ولا — وإله الناس — نألم حربهم

ولو حاربنا ممنهسبُ وبنو فهم

أسلممًا على خسف ولست بخالد

وما لي من واقٍ، إذا جاءني حتمي

فلا سلم حق تحفز للناس خيفة

ويصبح طير كائنات على سلم

فأعرض عنه الرسول الكريم ، لما في شعره من روح جاهلية تعجد

العدوان وتسعى للانتقام وتشقى بالأذى ، ثم وجهه للسبيل الإلهي فقرأ  
عليه سورة الإخلاص والمودتين .

(١٣) وعن عبد الله بن رواحة أن النبي الكريم سأله : أخبرني .

ما الشعر يا عبد الله ؟

فقال : « شيء يختلج في صدري فينطلق به لساني »

قال « فأنشدني » : فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

قبلت — لله — ما آتاك موت حسن

قفوت عيسى — بإذن الله — والقدر

فقال النبي « وإياك قبلت لله ، وإياك قبلت لله » (١)  
لا ريب أن بعض الحيرة ستملكننا حين نقرأ هذه الأحاديث فتجد  
الرسول يرفع بعض الشعراء إلى مصاف النبوة ، ويحكم على البعض بنار  
جهنم ، لكننا لو تريننا في تفهيمها ، واستمعنا بالشروح وفسرنا بعضها  
بالبعض لوصلنا إلى لب الحقيقة .

إن الأحاديث الأربعة الأولى واضحة المعنى : الشعر كأي كلام آخر ،  
منه الطيب الذي يقبله الرسول ويحثنا على قبوله ، ومنه الخبيث الرديء  
الذي يدينه - صلوات الله وسلامه عليه - ويحذرنا منه .

والحديث الخامس يرى في الشعر فن العرب الأول ، الذي أجادوه ،  
وتعلقوا به تعلقاً شديداً ، فصار جزءاً من طبيعتهم لا يفارقهم ولا يتركوه  
ما عاشوا ، وهو قول صادق صحيح ، وفي شرح الحديث رقم (٦) قال  
الزحشري عن أمية : كان داهية من دواهي ثقيف ، وثقيف دهاة العرب ،  
ومن دهائه ما هم به من ادعاء النبوة ، وكان جلالة للملوك جوالاً في  
البلاد ( وكفر قلبه ) أي اعتقد ما ينافي شعره المشحون بالإيمان  
والحكمة والتذكير بآلاء الله وأيامه ؛ فلم ينفعه ما تلفظ به مع جمود  
قلبه ، روى مسلم عن عمرو بن الشريد قال « ردفت النبي ﷺ فقال :  
هل معك من شعر أمية ؟ قلت نعم ، فأشدته مائة بيت فقال : لقد كاد  
أن يسلم في شعره . »

أما شرح الحديث رقم (٧) فهو ، وفي رواية « أصدق كلمة قالها شاعر »

(١) فيض القدير ج ١ ص ٥٧

وفي أخرى «أصدق بيت قاله للشاعر» ، وفي أخرى «أصدق بيت  
قالتة الشعراء» ، وفي أخرى «أصدق كلمة قالتها العرب» ، وهذا قريب  
من قوله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) . . . .

وروى السانقي في مشيخته البغدادية عن يعلى بن جراد قال «أنشد  
ليبي النبي ﷺ قوله : «ألا كل شيء ما خلا الله باطل» فقال «صدقت»  
فقال : وكل نعم لا محالة زائل» ، فقال «كذبت» ، فنعميم الآخرة  
لا يزول ، (١) أما الحديث رقم (٨) ورقم (٩) فيفسران بعضهما ، لقد  
كان عنبرة مجسداً للقيم النبيلة : الشهامة والروعة والإباء والشجاعة ، وكان  
شعره صورة صادقة لحياته وسلوكه ، فهو يقول ما يفعل ، لا يكذب  
ولا يتقول ، وهو لا يقول هيجاء مقذعا ولا غزلا فاضحا أو أى  
كلام يؤذى .

وكان امرؤ القيس على التقيض من ذلك : فاحش القول ، إباحي  
الغزل ، سيء السلوك ، كاذب مدعى .

فلا غرابة أن يحكم النبي على امرئ القيس بقيادة الشعراء من أمثاله  
إلى النار ، ويشتمى ﷺ لو كان قد رأى عنبرة .

أما بقية المواقف من لقاءات الرسول بالشعراء وبعثه على أشعارهم  
بما يفيد الإعجاب والتقدير ، فهي تنسجم مع خلاصة الأحاديث السابقة :  
استحسان ما يتفق مع الدين والخلق القويم ، واستمهجان ما يخالفهما .

---

(١) فيض التقدير ج ١ ص ٥٢٤

### الموقف الثالث : ترحيب وإثابة : أقوال وأفعال .

١ — عن كعب بن مالك — رضى الله عنه — قال رسول الله ﷺ :  
إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه<sup>(١)</sup> وفي شرح الحديث قال : أراد بالجهاد  
باللسان هجو الكفر وأهله ، وهذا إلى ظاهر الأخبار أقرب ، ومقصود  
الحديث أن المؤمن شأنه ذلك فلا ينبغي أن يقتصر على جهاد أعدائه  
بالسنان ، بل يضم إليه جهاد اللسان ، عن كعب بن مالك قال : لما نزلت  
(والشمراء يتبعهم الغاوون) أتيت رسول الله ﷺ فقلت : ما ترى في الشعر؟  
قال : إن المؤمن يجاهد . . . الحديث .

٢ — وقال صلوات الله عليه — لكعب بن مالك «ان المؤمن يجاهد  
بسيفه ولسانه ، والذي نفسى بيده ، لكان ما ترمونهم به نضح النبل» ،<sup>(٢)</sup>  
٣ — عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أنه سمع حسان بن ثابت  
الأنصاري يستشهد أبا هريرة فيقول : يا أبا هريرة نشدتك بالله ، هل  
سمعت رسول الله ﷺ يقول : يا حسان أجب عن رسول الله ، اللهم أيده  
بروح القدس؟ قال أبو هريرة : نعم ،<sup>(٣)</sup>  
(٤) وعن البراء — رضى الله عنه — أن النبي ﷺ قال لحسان «هاجهم  
— أو قال هاجهم — وجبريل معك» ،<sup>(٤)</sup> .

(١) فيض القدير : ج ٢ ص ٣٨٦ حديث رقم ٢١٠٤

(٢) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي ص ٤٠

(٣) صحيح البخاري ج ٨ ص ٤٥

(٤) السابق ج ٨ ص ٤٥



(٥) عن أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - قال رسول الله ﷺ :  
« هجاءم حسان ، فشفى واشتفى » ، (١) .

(٦) وفي رواية أخرى : قال صلوات الله وسلامه عليه : « أمرت  
عبد الله بن رواحة بهجاء قريش فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك  
فقال وأحسن ، وأمرت حسان بن ثابت فشفى واشتفى » ، (٢) .

(٧) بعد هجرة الرسول الكريم للمدينة المنورة ، اشتد هجاء  
الشعراء المشركين - عبد الله الزبيري وضرار بن الخطاب وأبي سفيان  
بن الحارث بن عبد المطاب وعمرو بن العاص - اشتد هجاءهم للرسول  
والمسلمين ، فقال عليه السلام للأَنْصار : « ما يمنع القوم الذين نصرُوا  
رسول الله ﷺ أن ينصروه بألسنتهم ؟ » فقال حسان : « أنا طمأنا  
يا رسول الله ، قال الرسول الكريم : كيف تهجوهم وأنا منهم ؟ » .

فقال : « والله لأسألك منهم كما تسأل الشعرة من العجين » . فيقول له  
الرسول : « اذهب إلى أبي بكر فليحدثك حديث القوم وأيامهم وأحسابهم ،  
ثم ارجعهم واجبريل معك » ، (٣) .

(٨) وجاء في العقد الفريد : « ولو لم يكن من فضائل الشعر إلا أنه

---

(١) فيض القدير ج ٦ ص ٣٥٢ حديث رقم ٩٥٨٤

(٢) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي ص ٤٩

(٣) راجع كتاب الخطبة : د . درويش الجندى ص ٦٤

أعظم جند يجنده رسول الله ﷺ - على المشركين ، يدل على ذلك قوله لحسان دشن النطاريف على بنى عبد مناف ، فوالله لشمرك أشد عليهم من وقع السهام في غبش الظلام وتخبط عشي فيه (\*) .

وقال والذي بعثك بالحق نبيا لأسلكت منهم سل الشعرة من العجين ، ثم أخرج لسانه فضرب به أرنبة أنفه ، وقال والله يا رسول الله انه ليخيل إلي أني لو وضعت على حجر لفلقه أو على شعر لحلقه ، فقال النبي ﷺ : أيد الله حسان في هجوه بروح القدس ، (١) .

(٩) وقال ﷺ معقبا على هجاء حسان ولهذا أشد عليهم من وقع النبل ، (٢) .

(١٠) حين أنشد حسان قصيدته التي يرد بها على أبي سفيان بن الحارث أمام الرسول - ﷺ دعا له بالجنة مرتين ، فعندما قال : هجوت محمدا فأجبت عنه

وعند الله في ذاك الجزاء

قال صلوات الله وسلامه عليه « جزاؤك عند الله الجنة يا حسان » . ولما وصل إلى قوله :

---

(\*) أظن المقصود : وتخبطوا يمشون فيه ، أي بنى عبد مناف .

(١) العقد المفريد ص ١٣٠ ج ٣ .

(٢) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي ص ٤٠ .

فأنت أبي ووالده وعرضي

لعرض محمد منكم وفاء

قال النبي الكريم: «وقاك الله حر النار» .

(١١) عن أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - «رووا أولادكم

الشعر تعذب ألسنتهم» (١) .

أما مواقف الرسول الكريم من إنشاد الشعر ومن الشعراء فهي  
عديدة يصعب حصرها، ولكننا نستعرض أمثلة منها لاستكمال الصورة .

(١) يقول جابر بن سمرة «جالست النبي ﷺ أكثر من مائة

مرة، فكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر  
الجاهلية وهو ساكت فرمنا تبسم معهم» (٢) .

(٢) ورد في تفسير القرطبي أن الخليل بن أحمد قال: «كان الشعر

أحب إلى رسول الله من كثير من الكلام» (٣) .

(٣) سمع رسول الله ﷺ أم المؤمنين عائشة وهي تنشد لزهير بن

حبيب قوله :

ارفع ضعيفك لا يحل بك ضعفه

يوماً ، فتذكره عواقب ما جفى .

---

(١) المقد الفريد ج ٣ ص ٩٩/١٠٠

(٢، ٣) نخب أدب إسلامي ص ١١٨

يجزيك أو يثني عليك فإن من

أثني عليك بما فعلت كمن جزي

فقال النبي « صدقت يا عائشة ، لا شكر الله من لا يشكر الناس » (١)

٤ — عن الأصمعي أن رجلا جاء إلى النبي الكريم فقال : (٢)

أنشدك يا رسول الله ؟ قال : نعم ، فأنشد :

تركت القيان وعزف القيان

وأدمنت نصليّة وابتهالا

وسكر المشقر في حومة

ونثق على المشركين القتالا

أيا رب لا أغبن صدقة

فقد بعت مالي وأهلي بدالا

فقال النبي — صلوات الله وسلامه عليه : « ربح البيع ، ربح البيع » .

٥ — وجاء في العقد الفريد أيضا أن النبي ﷺ قال لكمب

ابن مالك « لقد شكر الله لك قولك » : (٣)

زعمت مسخينة أن تغالب ربها

وليغالب مغالب الغلاب

---

(١ ، ٢) — العقد الفريد : ج ٣ ، ص ١٠٠

(٣) العقد الفريد : ج ٣ ، ص ١٠١

٦ - موقف الرسول الكريم من الشاعر كعب بن زهير : كنا قد  
أشرنا في موقف الكراهة إلى إهدار النبي ﷺ لدم كعب بن زهير بعد  
ما قاله من شعر يمرض فيه بالإسلام ورسوله ، ومنه هذه الأبيات (١) :

ألا أبلغا عني بجيراً رسالة

فهل لك فيما قلت بالخيف هل لك

شربت مع المأمون كأساً روية

فأنهلك المأمون منها وعلبك

وخالفت أسباب الهدى وتبعته

على أي شيء - ويب غيرك - ذلك

على خلق لم تلب أماً ولا أباً

عليه ، ولم تدرك عليه أخاً لك

وخاف بجير على أخيه فكتب إليه يحذره لأن الرسول يبيع دم من  
يهجوه حرصاً على الدين وحماية لأعراض المسلمين .

وأنه لم يبق ممن آذوه سوى هبيرة بن وهب وابن الزبير اللذين  
هربا منه فإن كانت لك في نفسك حاجة فأقدم عليه ، فإنه لا يقتل أحداً

(١) المصبر الإسلامي : د . شوقي ضيف ص ٨٤ ويتصدد بالفظ

المأمون رسول الله ﷺ ، أو أبابكر رضى الله عنه .

أتاه تائباً ، وإن أنت لم تفعل فانج بنفسك ، فلما ورد على كعب كتاب  
أخيه خاف على نفسه فأعد قصيدته الشهيرة « بانث سعاد » وقدم إلى مكة  
فذهب لأبي بكر الذي صحبه لمسجد الرسول — وهو متألم بعمامة —  
وقال : يا رسول الله هذا رجل جاء يبائعك على الإسلام ، فبسط النبي  
يده الشريفة ، وكشف كعب عن وجهه وقال : هذا مقام المائذ بك  
يا رسول الله ، وأنا كعب بن زهير ، فأمنه الرسول واستنشدته لاميته :

بانث سعاد فقلبي اليوم متبول  
متمم إثرها ، لم يفد مكبول  
وبعد الغزل ووصف الرحلة والنافاة يشير إلى خوفه :  
يسعى الوشاة جنايبها وقولهم  
إنك يا ابن أبي سلمى ، لمقتول  
فقلت خلوا سبيلي لا أبا لكم  
فكل ما قدّر الرحمن مفعول  
وينتقل إلى الاعتذار وطلب العفو من رسول الله :  
أنبت أنت رسول الله أوعدني  
والعفو عند رسول الله مأمول  
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة  
الفرقان ، فيها مواهظ وتفصيل

لا تأخذني بأقوال الوشاة فلم  
أذنب ، وإن كثرت في الأقاويل  
ويثنى بمدح الرسول والمهاجرين :  
إن الرسول لنور يستضاء به  
مهند من سيوف الله مسلول  
في عصبة من قريش قال قائمهم  
بيطان مكة لما أسلموا ، زولوا  
زالوا فما زال أنكاس ولا كشف  
عند اللقاء ولا ميل معازيل  
شم العرائيف أبطال ، لبوسهم  
من نسج داود في الهيبة سراويل

د قال كعب بن زهير : فلما ختمت القصيدة رمى علي رسول الله —  
ﷺ — بردة كانت عليه . فلما كان زمان معاوية — رضى الله عنه —  
بعث إلى كعب بن زهير : دبعنا بردة رسول الله ﷺ بعشرة آلاف ، فوجه  
إليه الجواب د ما كنت لأوثر بثوب رسول الله ﷺ أحدا ، فلما مات  
كعب بعث معاوية إلى أولاده بعشرين ألفاً ، وأخذ منهم البردة ، (١) .

---

(١) شرح التبريزى علي بانة سعاد : د . عبد الرحيم الجمل ص ١

وقبل أن ننتقل لموقف آخر ، نشير إلى قصة تتصل بزهر وقصيدته  
وثرورها معظم الكتب ، تقول للقصة إن كعبا عرض بالأنصار في البيت  
التالى :

يمشون مشى الجمال الزهر يصممهم

ضرب إذا ورد السود التنايل

وأن الرسول — عليه السلام — قال له د لولا ذكرت الأنصار  
بخير فإنهم لذلك أهل ، وقال المهاجرون د ما مدحتنا إذ هجوتهم ، فقال  
كعب أبيتا يمدح فيها الأنصار :

من سره كرم الحياة فلا يزل

في مقنب من صالحى الأنصار

ورثوا للكارم كابرا عن كابر

إن الخيار هم بنو الأخيار

وأرى القصة ملفقة لا يقبلها المنطق للأسباب التالية :

(١) قيل إن تعريضه بالأنصار يرجع إلى تجمهمهم له ومحاولة قتله  
لما بدر منه فى حق الرسول ، والفروض أن هذا قد حدث حين قابل  
رسول الله ، طي حين أن القصيدة معدة ومنظومة مسبقا ، فقال قصيدته  
التي أولها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول



وفيهما يقول :

نبئت أن رسول الله أوعدني

والعفو عند رسول الله مأمول

ثم أتى رسول الله . . . (١) أي أنه نظم القصيدة قبل اللقاء وهو أمر طبيعي ، فلا يعقل أن يرجل قصيدة من سبعة وخمسين بيتا في لحظة اللقاء ، فكيف عرف مقدما أن الأنصار سوف يتجهون له ويرغب أحدهم في قتله ، فيهجوم ؟

(٢) ليس في البيت أية إشارة إلى الأنصار حتى يمدت موجهها إليهم فضلا عن أن يكون تمرضا بهم .

لقد بدأ مدح المهاجرين بقوله :

في عصبة من قريش ...

شم المرانين ...

لا يفرحون إذا نالت ...

يمشون مشى الجبال ...

لا يقع الطعن إلا في نحورهم ...

إنها سبعة أبيات تمضي على نسق واحد ، والضمير فيها للغائبين (هم) يعود على المهاجرين (٢)

---

(١) الشعر والشعراء : ابن قتيبة ص ٧٠

(٢) راجع القصيدة في ديوان كعب بن زهير أو شرح التبريزي .

٣ - في شرح الخطيب التبريزي للقصيدة لايشير إلى مسألة التعريض  
قط ، وهو يحكى مناسبة القصيدة في رواية عن كعب نفسه بطريق أبي بكر  
الأنباري عن الحجاج ذي الرقبة بن عبد الرحمن بن عقبة بن كعب (١)  
فهو ثقة .

٤ - معنى البيت يقول : إن المهاجرين يمشون إلى الحرب في ثقة  
وثبات وتؤدة - مثل الجمال - وأن هجومهم على الأعداء وضربهم إياهم  
يحملهم في منعة وعصمة ، في الوقت الذي يفر ويحبس كل أحد قصير .  
وصفة السواد والقصر هنا تنصرف للأعداء - ربما الكفار -  
الذين يفرون .

٥ - أما قول المهاجرين : لم تمدحنا إذ هجوتهم ، فقد يكون  
تحريفا بسبب اللسان أو لغرض في النفس ، وربما كان القول لم تمدحنا إذ  
نسيتهم أو تجاهلتهم ، لأنه لم يذكر الأنصار . وأما قول الرسول الكريم  
: لولا ذكرت الأنصار . ، فهو توجيه نبوي ، لقد آخى الرسول - عليه  
صلوات ربه وسلامه - بين المهاجرين والأنصار في كل شيء . فأحب  
ألا يخص الشاعر فريقا بالمدح دون الآخر ، فيجرح مشاعره ، لذلك  
يلفتة إلى استرضائهم كما استرضى إخوانهم المهاجرين .

ونعود لمواقف الرسول من الشعراء :

مع النابغة الجعدي : قدم النابغة الجعدي - أبو ليلى - على رسول الله

ﷺ فأشده :

(١) شرح التبريزي ص ١٥

أتيت رسول الله اذ جاء بالهدى

ويتلو كتابا كالحجزة نيترا

فلهما وصل إلى قوله مفاخرنا :

بلغنا السماء : مجدنا وجدودنا

وإنا لنترجو فوق ذلك مظهرنا

فسأله النبي : « إلى أين يا أبا ليلى ؟ »

قال : إلى الجنة - بك يا رسول الله .

فقال النبي : « الجنة إن شاء الله »

وأكمل إنشاده ، فحين بلغ قوله :

ولا خير في حلم إذا لم تكن له

بوادرتجوى صفوه أن يكدرنا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له

حليم إذا ما أورد الأمر أصدرنا

فقال رسول الله - ﷺ - « صدقت ، لا يفضض الله فاك » فعاش

مائة وثلاثين سنة لم تنقص له سن (١) .

(٨) موقف الرسول الكريم من أبي جرول الجشمي : وينقل صاحب

(١) الشعراء والشعراء : ص ١٧٧ والعقد الفريد ج ٣ ص ١٠٠

العقد عن ابن هشام : حدثني أبو جرول الجشعي وكان رئيس قومه ،  
قال : أمرنا النبي ﷺ يوم حنين ، فبينما هو يميز الرجال من النساء إذ  
وثبت فوقفت بين يديه وأنشدته :

امنن علينا رسول الله في حرم

فإنك المرء ترجوه وتنتظر

امنن على نسوة قد كنت ترضعها

يا أرجح الناس حلما حين يختبر

إنا لنشكر للنعماء إذا كفرت

وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

فذكرته حين نشأ في هوازن وأرضعوه ، فقال عليه السلام : أما  
ما كان لي وأبني عبدالمطلب فهو لله ولكم ، فقالت الانصار : وما كان لنا فهو  
لله ولرسوله ، فردت الانصار ما كان في أيديها من الدراهم والأموال .  
ويعقب ابن عبد ربه — مؤلف العقد — بقوله : « فإذا كان هذا مقام  
للشعر عند النبي ﷺ فأى وسيلة تبلغه أو تعبره ؟ » (١) .

(٩) موقوفه — ﷺ — من عمرو الخزاعي :

روى أن عمرو بن سالم الخزاعي قدم على الرسول مستنصرأ ، وكانت  
خزاعة في حلفه ، فاعتدت عليها قریش — فقال :

(١) العقد المفريد، ص ١٠٢

يا رب إني ناشد محمدا  
 حلف أبيه وأبينا الأتلا  
 قد كنت والدا وكنا ولدا  
 ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا  
 فانصر هداك الله نصراً أعتدا  
 وادع عباد الله يأتوا مددا  
 فيهم رسول الله قد تجردا  
 إن سيم خسفا وجهه تربدا  
 إن قريشا أخلفوك الموعدا  
 ونقضوا ميثاقك المؤكدا  
 وزعموا أن لست أدعو أحدا  
 وهم أذلّ وأفلّ عددا  
 هم يبتونا بالوتير هجدا  
 وقتلونا ركبا وسجدا

فما إن سمع الرسول هذا الشعر حق دمت عيناه وقال « نصرت  
 يا عمرو بن سالم » (١). ويكمل صاحب المقدم عن ابن هشام « ثم عرض

(١) الأدب في عصر النبوة والراشدين : د . صلاح الهادي ص ٢٢٥

عارض من السماء فقال رسول الله ﷺ : إن هذه السحابة تستمل بنفسه  
في كعب ، وتلك الحادثة كانت أحد الأسباب المباشرة لفتح مكة (١) .

(١٠) مع العلاء بن الحصين : جاء العلاء يوما إلى الرسول صلوات الله  
عليه ، فسأله : هل تروى من الشعر شيئا ؟

فأنشده : خفي ذوى الأضغان تسب قلوبهم

تحييتك الحسنى فقد ترفع الشغل

فإن حسوا بالسكره فاعف تكرما

وإن حبسوا عنك الحديث فلا تسل

فإن الذى يؤذك منه سماعه

وإن الذى قالوا وراءك لم يقل

فلما سمع هذا الشعر قال قوله المشهورة : إن من الشعر لحكمة ، (٢) .

(١١) موقفه من قيس بن الخطيم : ويروى أبو الفرج خبرا عن

أنس بن مالك يقول فيه أن رسول الله جلس في مجلس ليس فيه إلا خزرجى  
واحد ، ثم استنشدهم قصيدة قيس بن الخطيم ، يعنى قوله :

أعرف رسما كاطراد المذاهب

لعمره وحشا غير موقف راكب

---

(١) العقد الفريد ص ١٠٢

(٢) الأدب في عصر النبوة والراشدين ص ٢٢٢

فأنشده بعضهم إياها ، فلما بلغ قوله :

أجاد لهم يوم الحديقة حاسرا

كأن يدي بالسيف محراق لاعب

فالتفت إليهم رسول الله ﷺ وقال : هل كان كما ذكر ؟ ، فشهد له  
ثابت بن قيس بن شماس ، وقال : والذي بعثك بالحق يا رسول الله ، لقد  
خرج الينا يوم سابع عرسه . . . بخالدنا كما ذكر ، (١)

٢ — موقفه ﷺ من وفد بني تميم : في عام الوفود — بعد فتح

مكة — قدم وفد بني تميم على النبي ﷺ ومعهم خطيبهم عطار بن حاجب  
بن زرارة وشاعرهم الزبرقان بن بدر ، فلما خرج إليهم النبي قالوا :  
يا محمد جئناك لنفادخرك . . فأذن لشاعرنا وخطيبنا ، فأذن لهم الرسول  
ولما انتهى خطيبهم أمر ثابت بن قيس الأنصاري فرد عليه ، ثم أذن  
لشاعرهم الذي قال في قصيدته :

نحن للكرام فلاحى يما دلنا

منا الملوك وفيما يقسم الربيع

وكم قسرنا من الأحياء كلهم

عند النهاب وفضل العز يتبع

إنا أبينا ، ولم يأب لنا أحد

وانا كذلك عند الفخر ترتفع

---

(١) قضايا الشعر في النقد العربي : د . إبراهيم عبد الرحمن ص ٢٨٨

وحين بدأ شاعر بني تميم ينشد ، بعث رسول الله إلى حسان - ولم يكن بالجلوس - فحضر وسمع قول الزبرقان فلما قال رسول الله : قم يا حسان فأجب الرجل فيها قال : ونف فارتجل على نفس الوزن والروي :

إن الدوائب من فهر وإخوتهم

قد بينوا سنة للناس تتبع

يرضى بها كل من كانت سريره

تقوى الإله ، بالأمر الذي شرعوا

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم

أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا

إن كان في الناس سباقون بمدهم

فكل سبق لأدنى سبقهم تبع

واستمر إلى نهاية القصيدة ، ولما فرغ حسان قال رئيس الوفد - الأفرع بن حابس - : وأبي ، إن هذا الرجل - يعني رسول الله - لمؤتي له بخطيبه أخطب من خطيبنا ، وأشاعره أشعر من شاعرنا ، ولاصواتهم أعلى من أصواتنا ، ولم ينفذ المجلس إلا بدخولهم في الإسلام وتبديعهم الرسول ﷺ ، (١)

---

(١) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي ص ١٦٠/١٦٤



( ١٣ ) دحين دخل مكة معتمراً ( عمرة القضاء ٥٧ ) قدم بين يديه عبد الله بن رواحة ، فأخذ بخطام نافته مرتجذا بأبيات منها ، (١) :

خلوا بني الكفار عن سبيله

خلوا فكل الخير مع رسوله

يا رب إني مؤمن بقبيلة

أعرف حق الله في قبوله

خلاصة موقف السنة النبوية : لو تأملنا الأحاديث السابقة باتجاهاتها

لثلاثة ، واستقرأنا مواقف الرسول — صلوات ربه عليه — فسوف نخرج بمدة نتائج ، توضح وتدعم ما عرفناه قبلاً حين تأملنا آيات الله المبينات حول الشعر :

(١) موقف السنة يتسق مع موقف القرآن الكريم ، فهي تـكـره من الشعر ما تضمن هجاء للرسول وحرباً على الإسلام ونبلاً من المسلمين ، وتكره من الشعراء من حاد عن طريق الحق وخالف مبادئ الإسلام وتنكر للخلق القويم .

(٢) أحاديث النهي والكراهة لا تخرج عن ثلاثة : أولها بمدة روايات ومنها رواية أم المؤمنين عائشة وهي تنهى عن كراهة الشعر الذي هجا الرسول ﷺ .

وثانيها : يلزم من تناول على الرسول وهجاء .

(١) الأدب في عصر النبوة والراشدين ص ٢٢٥

وثالثها : ينهى عن رواية قصيدتين تحويان تمجيذا للكفار ،  
ووعيدا للمسلمين ، وهما : ما على الإسلام .

(٣) مواقف الرسول — عليه السلام — المناهضة للشعر أو المهاجمة  
لالشعراء ، لا تخرج عن التصدى بأن حارب الله ورسوله والمؤمنين .

(٤) أدرك الرسول بفطرته السليمة ، وحكمته البالغة ، اعتزاز العرب  
بالشعر ، وابداعهم فيه وتمسكهم به ، حتى ليوشك أن يكون غريزة  
فيهم — كحنين الإبل — والرسول عربى ، يتذوق الشعر ويدرك تأثيره  
فى النفوس ، فليس من المقبول منطقيا أن يقال إنه — صلوات الله عليه —  
قد حاربه وأنهى عنه وجودنا الشعر من التصيد والرجز قد سمعه الرسول  
ﷺ — واستحسنه ، وأمر به شعراء ،<sup>(١)</sup> ولكن المتوقع أن يقوم  
هذا الفن ويهذب .

(٥) التفت حول الرسول الكريم جماعة كبيرة من الشعراء المؤمنين  
بمضمهم كانت له صحبة ورواية ، فهم من حفظة الحديث النبوى ورواته ،  
وبعضهم شرف بالصحبة وحدها . ومن الأولين ، الصحابة الأجلاء رواة  
الحديث (٢) حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ،  
وعدي بن حاتم الطائى ، وعباس بن مرداس السلمى ، وأبو سفيان  
بن الحارث بن عبد المطلب .. وغيرهم .

---

(١) البيان والتبيين ، ج ١ ص ١٥٣

(٢) راجع : دراسات فى أدب ونصوص العصر الإسلامى ص ٤٣/٤٤

ومن لهم شرف الصحبة دون الرواية : أحمد بن زهير ، وليد  
بن ربيعة ، وضرار بن الخطاب ، وابن الزبير . . وغيرهم : فكيف  
يفسح الرسول في مجلسه للشعراء ويسمح بالرواية عنه ، إن كان يذكره  
الشعر أو يعرض عن الشعراء ؟

(٦) من الأحاديث الواردة عن « عنيزة وامرئ القيس وأمية  
وطرفة » ثم من المواقف العديدة للرسول المصطفى مع شعراء آخرين  
يتضح جليا « أن الرسول لم يكن يرفض الشعر بعمامة ، ويعرض عن الشعراء  
أجمعين ، فقد رأيناه يقبل على ما حسن ، ووافق الحق من الأشعار ،  
ولم يتضمن ما يناهى روح الإسلام وتعاليمه وآدابه ، واشتمل على العظة  
والعبرة والتذكير والحض على الفضائل وغير ذلك مما يدخل تحت قوله  
ﷺ : إن من الشعر لحكمة » (١) .

(٧) وما دام للشعر تأثيره وقوته ، فلا ريب أن الحكمة النبوية  
رأت اتخاذها سلاحا للدفاع عن الدين ومناهضة الشرك ، خاصة وقد بدأ  
الشعراء الكفار بإطلاق سهام ألسنتهم « واختار الرسول حسان بن ثابت  
وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة من الأنصار ليردوا على شعراء  
قريش ، فكان اختياره موفقا لسببين :

الأول أن شعراء المدينة أقدر على قول الشعر من شعراء مكة ، والثاني  
أن شعر الأنصار يمد عهودا ومواثيق منهم للرسول (٢) .

---

(١) الأدب في عصر النبوة والراشدين ص ٢٢٧

(٢) تاريخ الشعر العربي : د . عبد العزيز السكفراوي ج ١ ص ٣١

(٨) ولم تقتصر نظرة الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - إلى الشعر على اعتباره فنا من الفنون يستحسن الحسن منه، ويستهمجن القبيح، بل كان عليه السلام يرغب فيه بالحث على روايته وإنشاده ، ويسمع لأصحابه في مجلسه ، ويبدى آراء نقدية صائبة فيما يسمع ، ويثيب على ما يمجبه ، ويرد من أخطأ، ولو رجسنا إلى موافقه مع النابغة الجعدي ، وليبيد ، وكعب بن زهير ، ومع السدوسي ، ثم مع رواة شعر قيس بن الخطيم ، فسوف نبحده يرحب ويهجب بكل شعر نضمن الدهوة إلى خالق كريم ، أو أصدر حكما صائبا على فعل وسلوك ، وإن كان الرسول يحسه المرهف ، وحكمته السديدة ، كان يعرض عن ذلك الشعر الذي يشيد بقيم جاهلية ، أو يخوض في الأعراض ، أو يوقظ كامن الفتن والضغائن ، أو يتباهى بروح الخيلاء والفخر بالأحساب والأنساب .

ولو كان الرسول يذكره الشعر ، أو لا يعرفه حق المعرفة ، ما كان ليعقد تلك المجالس الأدبية لروايته وإنشاده ، ويسمح لشعرائه بالرد على شعراء الوفود أو شعراء قرينس .

وما كان ليرى فيه سلاحا مكملًا لأسلحة القتال ، وما كان ليبدى تلك الآراء الصائبة ، ويظهر ذلك الإعجاب الصادق ، ولا كان يستجيب لمن اتخذ الشعر وسيلة للاعتذار وطلب العفو ، بل الافتداء من الأسر .

فالرسول إذن - مهتديا بالقرآن - لا يرفض الشعر جملة ولا يُنحى الشعر جهيما ، إنما يقبل ما وافق الحق والدين .



### ثالثا : موقف الصحابة والراشدين

أظن أن موقف الإسلام من الشعر يزداد وضوحا واضحا حين  
نعرف على آراء ومواقف صحابة رسول الله - ﷺ - وخلفائه الراشدين ،  
فهم متبعون لسنة ، مسترشدون بهديه عليه السلام ، ورأى الجماعة من  
الصحابة والخلفاء وأوائل التابعين ، يعتبر مصدرا ثالثا للتشريع بعد  
القرآن والسنة .

يطالعنا في البداية قول أنس بن مالك - رضى الله عنه - « قدم علينا  
رسول الله ﷺ - وما في الأنصار بيت إلا وهو يقول الشعر ، قيل له :  
وأنت أبا حمزة ؟ قال : وأنا » (١)

وجاء في البيان والتبيين : « وسامة أصحاب رسول الله ﷺ ، قد  
قلوا شعرا قليلا أو كثيرا ، سمعوا واستنشدوا » (٢) .

وسئل الحسن البصري : أكان أصحاب رسول الله ﷺ يمزحون ؟  
قال نعم ، ويتقارضون القريض ، وهو الشعر » (٣) .

وروى عن أبي سلمة قوله : « لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ  
متحزقين ولا متماوتين ؛ كانوا يتناشدون الأشعار ، ويذكرون أمر  
جاهليتهم ، فإذا أريد أحد منهم على شيء من دينه ، دارت جماليق عينيه  
كأنه مجنون » (٤)

الخليفة الأول : أبو بكر الصديق كان رضى الله عنه يستنشد الشعر

---

(١) المعقد الفريد : ج ٣ ص ١٠٣ (٢) البيان والتبيين ج ١ ص ١٥٣

(٣) الادب في عصر النبوة والراشدين ص ٢٩٠

(٤) المرجع السابق ص ٢٩٠

ويتذوقه ، ويبدى فيه آراء صائبة ، ويستشهد به في خطبه . كذلك فقد خاض حروب الردة دفاعا عن الإسلام ، واستجابة للمرتدين حتى يفيثوا إلى أمر الله ، فكانت تلك الحروب ذات تأثير على نهضة الشعر الإسلامي حيث واكب اللسان معركة السنان ، وانطلقت سهام الكلمات لتصيب المرتدين في الصميم .

ومن آرائه التي تدل على دراية بالشعر قوله عن النابغة « هو أحسنهم شعرا وأعذبهم بحرا وأبعدهم قعرا » (١)

وحدث أن جاءه مال من البحرين فقام بتوزيعه على المسلمين بالتساوي وغضب الأنصار لذلك ؛ فقد كانوا يتطلعون إلى أن يزيد عطاءهم ، لما لهم من سابقة في مناصرة الرسول ومؤاخاة المهاجرين ، شغلب فيهم الصديق ، وذكر فضلهم وأثنى عليهم ، متمثلا بأبيات طفيل الغنوي التي يقول فيها : (٢)

جزى الله عنا جعفرا حين أذلت

بنسا نعلنا في الواطئين فزلت

---

(١) دراسات في أدب ونصوص المعمر الإسلامي ص ٤١

(٢) الأبيات من كتاب الأدب في عصر النبوة والراشدين ص ١٨٢ ، وطفيل شاعر جاهلي مات قبل الإسلام بقبائل وكان حكيما ثريا فقام بالصالح بين قبيلته وقبائل أخرى متمحلا الديات .



أبوا أن يملونا ولو أن أمنا

اللاقى الذى يلقون منا ، لملت

هموا أسكنونا فى ظلال بيوتهم

ظلال بيوت أدفأت وأظلمت

وقال سعيد بن المسيب : كان أبو بكر شاعرا وعمر شاعرا وعلى  
أشعر الثلاثة ، (١) وهو يقصد أن كل واحد منهم لا بد قد نظم بضعة  
أبيات فى مناسبات مختلفة .

الخليفة الثانى : الفاروق عمر : أما الخليفة العادل فله مع  
الشعر والشعراء مراقف عديدة مشهورة ، وله فيه وفيهم أقوال حكيمة  
مأثورة ، كان يسأل وفرد القبائل عن شعرائهم ، ويستنشدهم ، ويبدي  
آراء فيها يسمع ، وكثيرا ما كتب لولائه على الأوصار يسألهم عن الشعراء  
وما نظموه من جديد الشعر ، ويروى أنه ربما سهر الليالى يصغى إلى  
الشعر حتى إذا سحان وقت الفجر طلب تلاوة القرآن .

آراؤه فى الشعراء : كان يفضل زهير بن أبى سلمى ، معللا تفضيله  
بما يمكن تذوقه للشعر ، وعلمه بمقوماته ، يقول : كان لا يعاظم فى  
الكلام ، وكان يتجنب وحش الشعر ، ولم يمدح أحدا إلا بما

---

(١) المقام للفريد ج ٣ ص ١٠٣

فيه . (١) وربما حكمت الجملة الأخيرة حرصه على آداب الإسلام  
الذى يدعو إلى القول الصادق ، وينهى عن الففاق والمراعاة .  
وقال لو فد عطفان حين سمع قول النابغة الذبياني :  
حلفت فلم أترك لنفسك ريبة

وليس وراء الله - للعرض - مذهب

قال : د هو أشهر شعرائكم ، (٢)

ولأن زهيراً اشتهر بمدح هرم بن سنان ، فقد طلب الفاروق من  
أحد أولاد هرم ذات مرة : أنشدني بعض ما قال فيكم زهير . فأشده .  
فقال : لقد كان يقول فيكم فيحسن ، قال : يا أمير المؤمنين ، إنا كنا  
نعطيه فنجزل ، فقال عمر - رضى الله عنه : ذهب ما أعطيتهموه وبقي  
ما أعطاكم ، (٣)

وقال رضى الله عنه لابن عباس يوماً : أنشدني أشاعر الشعراء  
الذى لم يعاظم بين القوافي ، ولم يتبع وحشى الكلام .

قال : من هو يا أمير المؤمنين ؟ قل : زهير ، فلم يزل ينشده إلى  
أن برق الصباح « (٣)

---

(١) العصر الجاهلى : د . شوقي ضيف ص ٢٢٦

(٢) الشعر والشعراء ص ٧٣

(٣) المرجع السابق ص ٧٣

أقواله في الشعر : قال لابن له : يا بني : انتسب نفسك أهل  
رحمك ، واحفظ محاسن الشعر يحسن أدبك ، فإن من لا يعرف نسبه لم  
يصل رحمه ، ومن لم يحفظ محاسن الشعر لم يؤد حقاً ، ولم يقترب  
أدباً ، (١)

ومن أقواله : الشعر جندل من كلام العرب ، يسكن به الغيظ  
وتطفأ به الشائرة ، ويبلغ له القوم قاديهم ، ويعطى به السائل ، (٢) ،  
وجاء في البيان والنبين قوله : من خير صفات العرب : الأبيات  
يقدمها الرجل بين يدي حاجته ، يستنزل بها الكريم ، ويستعطف بها  
اللئيم ، (٣)

وقال أيضاً : روى من الشعر أفعته ، ومن الحديث أحسنه ومن  
النسب ما تواصلون عليه وتعرفون به ، فرب رحم بمجولة قد عرفت  
فوصلت ، ومحاسن الشعر تدل على مكارم الأخلاق ، وتنبئ عن  
مساوئها ، (٤)

وكتب إلى أبي موسى الأشعري — واليه على البصرة — يقول :

---

(١) الأدب في عصر النبوة والراشدين ص ٢٨٨

(٢) العقد الفريد ج ٣ ص ١٠٢

(٣) البيان والنبين ج ٢ ص ٢٨٨

(٤) دراسات في أدب ونهوض العصر الإسلامي ص ٤٩

د من قَبْلَكَ بِعِلْمِ الشَّعْرِ ، فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى مَعَالَى الْأَخْلَاقِ  
وَصَوَابِ الرَّأْيِ وَمَعْرِفَةِ الْأَنْسَابِ ، (١)

وروى الجاحظ ، قَالَ دَكْتُبُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِلَى مَا كُنِيَ الْأَمْصَارُ :  
«أَمَا بَعْدُ ، فَعَلِمْتُمْ أَوْلَادَكُمْ الْفُرُوسِيَّةَ ، وَرَوَوْهُمْ مَا سَارَ مِنَ الْمَثَلِ ،  
وَحَسَنَ مِنَ الشَّعْرِ ، (٢)

مواقفه مع الشعراء : كان لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب مواقف  
كثيرة مع عدد من الشعراء ، وتلك المواقف لها وجهها ، قد يتسرع  
المغرضون فيأخذون بأحد الوجهين ، ويلبسون أهناق الكلمات كي يثبتوا  
هداهم الخليفة العدل للشعر وللشعراء ، ويغمضون العين بإصرار وعدم  
عن الوجه الآخر للموقف لأنه يهدم رأيهم ، ومن ذلك موقفه مع  
الحطيمية بعد قصة ترويحها كذب الأدب القديمة والحديثية ، هجا الحطيمية  
وجعلها فاضلا سيدا في قومه هو الزيرقان بن بدر بأبيات منها :

ما كان ذنب بغيض أن رأى رجلا  
ذا حاجة ، عاش في مستوعر شاس  
جاراً لقوم أطالوا هون منزله  
وغادروه مقيماً بين أرماس  
ملوا قراه وهرته كلابهم  
وجرحوه بأنساب وأضراس

---

(١) الأدب في عصر النبوة والراشدين ص ٢٨٩

(٢) المرجع السابق ص ٢٨٨

دع المكارم ، لا ترحل لبغيتها  
واقعد ، فانت الطاعم الكاسي

فشكاه إلى أمير المؤمنين الذي قال بعد أن سمع الأبيات « ما أعلم  
هجاك ، أما ترضى أن تكون طاعما كاسيا ؟ قال : إنه لا يكون في الهجاء  
أشد من هذا » (١) .

وأرسل عمر ، إلى حسان بن ثابت يسأله ، فقال دلم يهجه ، ولكن  
أصلح عليه ، فحبسه وقال « يا خبيث ، لا شغلناك عن أعراض المسلمين » .  
فاستعطفه الخطيئة وهو في الحبس بأبيات يذكر فيها أولاده الصغار :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ  
زغب الحواصل ، لا ماء ولا شجر  
ألقى كاسيهم في قفر مظلمة  
فاغفر عليك سلام الله يا عمر  
أنت الأمين الذي من بعد صاحبه  
ألقى إليه مقاليد النهي البشر

---

(١) المستوعر : مكان صعب غليظ ، الشأس : الارتفاع الغليظ  
اللون : من الهوان ، الارماس : القبور ، هراته : نبعثته ونهشته ،  
( الشعر والشعراء ص ٣٠٢ ) .

لم يؤثروك بها ، إذ قدموك لها  
لكن لأنفسهم كانت بها الإثر

فلم تقت عيننا الخليفة وأطاعه آخذاً عليه عهداً بالكف عن الهجاء ،  
واشتري منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم ، وإلى ذلك يشير  
الخطيئة بقوله :

وأخذت أطراف الكلام فلم تدع  
شئاً يضر ولا مديحاً ينفع  
وحيتنى عرض اللئيم فلم يخف  
ذمى وأصبح آمناً لا يفرع

ومهما يكن من شيء فلقد حرّك الخطيئة هذه المحاكمة العلفية  
العادلة ، ونال ذلك العقاب المستحق على هجائه للزبرقان ليسكون عبرة  
له ، ورادعاه عن التعرض لأعراض الناس ، وأخذت عليه الموائيق  
ألا يعود ، وقطع عليه عمر معاذير الفقر بمنحه ثلاثة آلاف درهم ،  
إن صحت رواية ذلك ، (١) .

موقفه مع النعمان بن عدي : كان النعمان والياً على ميسان  
في البصرة ، ونظم أبياتا يقول فيها : (٢)

(١) الخطيئة : د . درويش الجندى ص ٩٣

(٢) نحو أدب إسلامي معاصر ص ١١٧

ألا هل أتى الحسفاء أن حليلها  
 بميسان ، يسقى في فجاج وحفتم (١)  
 إذا شئت غنتني دهاقين (٢) قرية  
 ورقاصة تمهزو على كل منهم  
 فإن كنت ندماني فبالأبكر استقني  
 ولا تسقني بالأصغر المتشلم  
 لعل أمير المؤمنين يسوؤه  
 تنادى في الجوسق المنهدم

فلما بلغ ذلك الخليفة عمر قال : « إني والله إني ليسوؤني ذلك »  
 ومن ألقه فليخبره إني قد عزلته ، . وكتب إليه بذلك ، فلما قدم عليه  
 قال : « والله يا أمير المؤمنين ، ما شربتها قط ، وما ذاك الشعر إلا  
 شيء طفق على لسانه ، فقال عمر : أظن ذلك ، وليكن والله لا تعمل لي  
 عملاً أبداً وقد قلت ما قلت ، وواضح أن عقاب أمير المؤمنين كان  
 بسبب جهر النعمان بالحرمة حتى ولو لم يرتكبها ، ثم تطاوله على  
 الخليفة بما يسوؤه ، وهو - النعمان - كان والياً ، أي قائداً ومثلاً لعامة  
 الأمة ، فلو ترك في منصبه بعد زلته لشيء غيره على الفعل بعد القول ،  
 وما كان عمر ليتراخى في الحق .

(١) الحفتم : الجرة الحفتماء .

(٢) دهاقين : جمع دهاقان وهو القوي صاحب الساطة والمال  
 والخبرة ، الجوسق : كل بنيان عال شامخ .

موقفه مع حسان بن ثابت : روى أن حسان وقف ينشد شعرا

في مسجد الرسول - ﷺ - أيام عمر ، فلما سمعه ، أخذ بأذنه وقال :  
أرغاء كرغاء البعير ١٩ فرد عليه حسان بقوله : دعنا عنك يا عمر ،  
فر الله لتعلم أنى كنت أنشد في هذا المسجد من هو خير منك ، فلا يغير  
على ، فيقول له عمر : صدقت ، ... وتنتهى القصة بقول عمر للمسلمين  
من الانصار : لاني كنت نهيتكم أن تذكروا شيئا مما كان بين المسلمين  
والمشركين دفعا للتضاغن عنكم ، فأما إذا أبوا فأنشدوه واحفظوه ، (١)

موقفه مع لبيد : يعد لبيد بن ربيعة من كبار شعراء الجاهلية

وأدرك الإسلام ، فقدم على رسول الله في وفد من بني كلاب ، وقد  
حسن إسلامه وتخلي عن كثير من الشعر الذي يأباه الدين ، ولذا قل  
شعره ، ويقال إن عمر بن الخطاب استنشد به بعض ما قاله في الإسلام ،  
فقرأ سورة البقرة وقال : ما كنت لأقول شعرا بعد إذ علمني الله  
سورة البقرة وآل عمران ، فزاده عمر في عطائه خمسمائة درهم ، (٢)

وقد يظن أن الخليفة زاد عطائه لأنه ترك الشعر ، فكأنه يحض  
غيره على ذلك ، لكن الحقيقة أن عمر بن الخطاب قد زاد عطاء لبيد  
لتقواه وحفظه للقرآن وليس لترك الشعر ولما زاد في عطائه بقية  
المسلمين الذين لا ينظمون شعرا .

---

(١) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي : ص ٤٩

(٢) المرجع السابق : ص ٥٠



تأثره بالشعر : « سئل مالك بن أنس : من أين شاطر عمر ابن الخطاب عماله ؟ فقال : أموال كثيرة ظهرت عليهم ، وأن شاعرا كتب إليه يقول :

نحج إذا حجوا ونغزو إذا غزوا  
فأني لهم وفر ، ولسنا بنى وفر  
إذا التاجر الهندى جاء بفارة  
من المسك ، راحت في مفارقهم تجرى  
فدونك مال الله حيث وجدته  
سيرضون — إن شاطرتهم — منك بالشر

قال : فشاطرهم هم أموالهم ، (١) .

ويروى أن المنخل السعدى جوع جرعا شديدا حين هاجر ابنه شيبان لحرب الفرس مع سعد بن أبي وقاص ، وكان قد أسنّ وضعف ، فافتقد ابنه ، فلم يملك الصبر عنه ، وذهنى إلى هموم فأشده أليانا ، يقول فيها :

إذا قال صحى ياربىع ألا ترى  
أرى الشخص كالشخصين وهو قريب

---

(١) العقد الفريد : ج ٣ ص ١٠٢

ويخبرني شيبان أن لن يعقني

تلق إذا فارقتني وتحوب (١)

فرق له عمر ، وكتب إلى سعد بأسره برد شيبان إلى أبيه ولم يزل عنده حتى مات . . . . . وقد فزع إليه أيضا أمية بن سرثان بن الأسكر حين هاجر ابنه كلاب إلى حرب الفرس ، وكان مما أنشده فيه :

لمن شيخان قد نشدا كلابا

كتاب الله إن حفظ الكتابا ؟

إذا هتفت هامة بطن وج

على هيضاتها ، ذكرا كلابا

تركك أبالك مرعشة يداه

وأملك ما تسينغ لها شراها

فأمر بإشخاصه إليه . وعن فزع إلى عمر أيضا في ذلك أبو خراش الهذلي حين هاجر ابنه مع المجاهدين إلى الشام ، وقد أنشده شعرا مؤثرا ، فأمر برده عليه وأن لا يغزو من له أب هرم إلا بعد أن يأذن له راضيا بهرته (٢) وكل ذلك يدل على تقدير الخليفة العادل

---

(١) تحوب : تخطى وتأثم

(٢) العصر الاسلامي : د . شوقي ضيف ٥٦ ، ٥٧

للشعر والشعراء وتأثره بالآيات يرسلها الرجل بين يدي حاجته - كما  
عبر هو .

أما ما يثار من شبهات حول موقفه من الخطيئة ثم من لبيد  
وما يقال من أنه غضب على أبي موسى الأشعري ولأمله لأنه كافأ الخطيئة  
بالمدح ، وإياه ، وأعطاه أنه أنقص خمسمائة درهم من عطاء الأغلب المعجل  
لقوله حين سئل عن شعره (١) :

لقد سألت هينا موجودا أوجزا تريد أم قصيدا ؟

فهو نوع من التعامل أو متابعة لأراء غير دقيقة وروايات ناقصة ،  
وقد عرفنا حقيقة موقفه مع الخطيئة ، ويكفي أنه أخرجه من السجن بعد  
آياته عن أولاده ، وأعطاه ما يغنيه عن السؤال بالمدح والاسترفاد  
بالهجاء ، كما فهمنا سر تصرفه مع لبيد الذي عرف عنه الكرم وإطعام  
الناس وقت الصبا ، وهي ريح شديدة البرودة ، تمنع الناس من السعي  
لعمائشها . ولومه لأبي موسى إنما كان حرصا على مال المسلمين من أن  
يبدد طمعا في الثناء والمدح .

ولإنقاص عطاء الأغلب لا يرجع قطعا إلى كتابة الشعر ، فلا بد أن  
بقية القصة تعطى تفسير الأمر ، والشعراء في عهد عمر - رضي الله عنه -  
كانوا كثيرين ولم نسمع عن إنقاص عطاء أحد آخر غير الأغلب .

---

(١) تاريخ الشعر العربي ج ١ ص ٥٨

عثمان بن عفان : تتفاوت آراء المدارس في الخليفة الثالث تفاوتاً

كبيراً ، فبينما نجد الدكتور عبد العزيز الكفراوى يقول عنه بعد انعام عمر بن الخطاب بكرامة الشعر : دولم يكن عثمان وعلى من بعده أقل منه سخياً على الشعراء وكرامة للشعر ، فقد ذكر الشماخ أن خوفه من عثمان وتشكيله بأهثاله هو الذى كان يمدمه من أن يمزق جلود أعدائه وذلك حيث يقول (١) للربيع بن عبيد السلمى :

لولا ابن عفان ، والسلطان مرتقب

أوردت لجاناً من اللغاة جلوداً

على حين يقول الدكتور درويش الجندى : وما يكاد عهد عمر ينتهى بسيماسته الحازمة الصارمة ، ويأتى عهد عثمان بسيماسته اللينة اليسيرة حتى نرى الخطيئة يتنفس الصعداء ، (٢) ثم يحكى عن مدح الخطيئة الوليد بن عقبة - وإلى عثمان على الكوفة - وكان ضميماً في دينه ، يشرب الخمر ، ويلهو مع أصحابه بالغناء حتى الصباح ويذهب للصلاة سكراناً ، فلما أقيم عليه حد الشراب ، دافع الخطيئة عنه ومدحه (٣) .

ولكن شواهد أخرى ، وكذا منطق الأمور ، تنهى عن أن الخليفة الثالث قد سار على نهج سابقيه ، فترك الشعراء ماداموا ملتزمين بتعاليم الإسلام ، وأعرض لهم حين تهجموا على القيم ، واعتدوا

---

(١) تاريخ الشعر العربى : ص ٥٨

(٢) الخطيئة : ص ٩٧

(٣) نفس المرجع ص ٩٨

بأسننتهم على الحرمات . وما قاله الشماخ يدل على أن عثمان بن عفان  
— رضى الله عنه — قد اشتد على المهاجرين وحاربهم ، حفاظا على  
القيم الأخلاقية وحماية للأعراض ، ويؤكد ذلك ما روى عن قصته مع  
ضابي بن حارث البرجمي ، وهو شاعر من بني غالب بن حنظلة ،  
وكان قد هجا قرماً هجاء سوء ونجس ، فشكواه إلى الخليفة عثمان ،  
الذى حبسه إلى أن مات (١)

على بن أبي طالب : أما الخليفة الرابع - ابن عم رسول الله والذي  
شهد له سعيد بن المسيب أنه أشعر من أبي بكر وعمر - رضى الله  
عنهما - فقد حفظت كتب السيرة وكتب الأدب شيئاً غير يسير من  
شعره ، فيقال إنه كان إذا هم بالمبارزة أنشد من نظمه : (٢)

أى يومى من المرات أفر  
يوم لا يقدر ، أم يوم مقدر ؟  
يوم لا يقدر لا أرهبه  
ومن المقدور لا يغنى المنذر  
وما قاله من شعره أيضاً يوم صفين :

---

(١) الشعر والشعراء : ص ٢١٨

(٢) العقد الفريد ج ٢ ص ١٠٠

أمن راية سوداء يخفق ظلمها  
إذا قيل قد تمها حصين ، تقادما  
فيوردها في الصف حتى يرد لها  
حياض المنيايا تقطر السم والدم  
جوى الله عنى والجراهم بكفه  
ربيعه خيرا ، ما أعف وأكرما

وكان المسلمون يعرفون في على شاعريته ، بدليل أنهم حين اشتد  
هجاء شعراء الشرك للنبي وصحبه ، ذهبوا إلى وقالوا له : « اهج عنا  
القوم الذين يهجوننا » فقال : « إن عليا ليس عنده ما يراد في ذلك » (١)  
وهو لا يقصد بالطبع ضاف المقدرة الفنية وما لكة الشعر ، ولكنه  
تخرج من قول الهجاء - خاصة في قریش وهم قومه وقوم رسول الله -  
أو ربما كان لا يقول شعر الهجاء عامة ، فليس كل شاعر قادراً على  
جميع فنون الشعر .

وكان يفضل من الشعراء امرأ القيس ويقول وكان أحسنهم نادرة  
وأسبقهم بادرة ، (٢) .

وقد استعان بالشعراء في معاركه مع بني أمية لإثارة الحماس  
وتحريك الهمم .

ويروى أن أحرابيا شكوا إليه فقره فأمر غلامه - قنبر - أن يعطيه

---

(١) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي : ص ٤٠ ، ٤١

(٢) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي : ص ٤٠ ، ٤١

حالة ، فمدحه بقوله : (١)

كسوتني حلة تبلى محاسنها  
فسوف أكسوك من حسن السفا حملا  
إن الثناء ليحيى ذكر صاحبه  
كالغيث يحيى يدها السهل والجبلا  
لا تزهو الدهر في عرف بدأت به  
فكل عابد سيهوى بالذي فملا

فقال علي : ديا قنبر : أعطه خمسين ديناراً ، ثم قال له : أما الحلة فليسألتك  
وأما الدنانير فلا أدبك ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : أنزلوا الفاس  
منازلهم ، ووضح من هذه الفسفة أن علياً كرم الله وجهه عرف للرجل  
قدره حين قال الشعر فبجده وأعطاه ما يليق بشاعريته . لسكن ذلك  
لا يمنع أن يوجه من يحتاج للتوجه إلى التأديب بأدب القرآن  
الكريم ، فبروى أنه سمع جريراً بن سمير التميمي ، يمثّل بقول  
الأسود بن يعفر النهشلي ، وهما يمران على مدائن كسرى :

جرت الرياح على محلّ ديارهم  
فكأنما كانوا على ميعاد  
ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة  
في ظل ملك ثابت الأوتاد  
فاذا النعميم وكل ما يلهي به  
يوماً ، يصير إلى بلى ونفاد

فقال علي : فلم لم تقل كما قال الله عز وجل ﴿ كم تركوا من جنات

---

(١) الأدب في عصر النبوة والراشدين : ص ٢٨٩

وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين ﴿١﴾ ؟ .

وبعد . . . إن ذلك العرض لمواقف الراشدين وأقوالهم فيما يخص الشعر والشعراء يثبت أنهم ساروا على نهج الرسول الكريم وبهدى من القرآن ، فلم يرفضوا الشعر تماما ولم يقبلوه على علاته ، ولا هم عادوا الشعراء جهيما ، ولا توكروهم وأهواءهم المتقلبة ، إنما كان الموقف العادل ترحيبا بالطيب ونهيا عن الخبيث ، ثوابا للمحسن وعقابا للمسيء ، كان حشا على الخيبر الصالح وزجرا عن الشرير الطالح ، وذلك ما يتفق مع آيات القرآن وأحاديث الرسول ومواقفه صلوات الله وسلامه عليه .

خلاصة موقف الإسلام من الشعر والشعراء : لا ريب أننا بعد هذا العرض المسهب لموقف القرآن الكريم والسنة النبوية ، ثم الخلاف الراشدين ، نستطيع أن نقول مطمئنين : إن الإسلام لم يعارض الشعر ولم يذم الشعراء ، وإنه ليس من المستعاض عقالا ادعاء أن الرسول ﷺ كره الشعر وأعرض عن الشعراء ، فلا يمكن لدهوة عالمية ترسم منهاجا جديدا للحياة الإنسانية كلها ، لا يمكن لهذه الدعة أن تحبط الشعر من

(١) الآيات من سورة الدخان ٢٥ ، و ٢٦ . والمقصود من توجيه الخليفة ألا يأسى على ضياع ملك الفرس - وهم كفرون - لأن الله أورثه لمن هو خير منهم - للمسلمين - .



حسابها ، سواء كان مجالا للإبداع الفنى أو وسيلة للدعوة ، أو سلاحا  
للجهاد ، وقد مر بنا كيف حدث الرسول المصطفى شعراء المسلمين ،  
ودعاهم إلى جهاد القول وسهام الكلام وسيف اللسان ، وذلك بعد  
أن فتح شعراء مكة المشركين تلك الجبهة الجديدة لتواكب جبهة  
الرماح والسيوف .

أما ما ورد من تهديد القرآن لبعض الشعراء ونهى الرسول عن  
قلعة من الشعر أو ضيقه بقايل من الشعراء ، وما عرف - تاريخيا -  
من مطاردة الخلفاء كعمر بن الخطاب ، أو عثمان بن عفان ، رضى  
الله عنهما للحطية والنجاشى وضارب ، فإنما كان لما تناولوه هؤلاء من  
أفكار ومغاني تنافى الحلقى القويم ، كما تؤذى الفطرة السليمة ، وتناقض  
مبادئ الإسلام ، وينهض هذا التوجيه القرآنى والنبوى لتخلص الشعر  
العربى من شوائب الملقى والنفاق فى المديح الكاذب ، ومن أدران  
الهجاء القبيح ونيل الأعراض ، ومن الهيام فى أودية الزهو والخيلاء  
بالفخر المتعالى ، ومن خدش الحياء فى الغزل الفاحش ، ومن أذى  
الحقائق بوصف الخمر ولعب الميسر وبجملات اللغو والمجون ، لأنه  
التوجيه للشعر وليس كجته ، والقضاء عليه ، وهو التهذيب للشعراء  
لا خنقهم وتكبيهم .

ويمكن أن نوجز موقف الإسلام جملة من الشعر والشعراء فى النقاط  
التالية :

(١) ليس فى القرآن الكريم تحریم قاطع صريح لنظم الشعر ،

وليس فيه تنديد به أو تحقيق له إلا حين يتنكب طريق الهدى ويحيد  
عن الخلق والدين .

(٢) كذلك لا يعادى القرآن الشعراء ولا يذممهم أو يهدمهم إلا إذا  
انحرفوا عن الحق وأساؤا للخير .

(٣) تركيز القرآن على نفي صفة الشاعرية عن الرسول وصفة للشعر  
عن القرآن هدفه تنزيه الرسول - ﷺ - عن أن يأتى بما لم يوحى إليه  
وينزل عليه ، يقول جلّ شأنه فى سورة الحاقة ( ولو تقول علينا  
بعض الأقاويل ، لآخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ) ويقول  
سبحانه فى سورة الفجر ( إن هو إلا وحي يوحى ) وكذلك تنزيه القرآن  
عن أن يسكون كلام بشر ، وإنما ( تنزيل من رب العالمين ) (١) .

(٤) تتفق السنة المطهرة مع القرآن الكريم فهمى ترحب بالشعر  
وتفسح للشعراء مكانا ، إذا انبعث من مبادئ الدين والأخلاق ،  
وابتعد عما يغضب الله ورسوله .

(٥) الأحاديث الواردة فى النهى عن بعض الشعر ، ولعنه وكذلك  
ذم بعض الشعراء ، حددت المنهى عنه والمكروه بأنه ما كان متضمنا  
لهجاء مقذع أو أذى للرسول والمسلمين أو صد عن سبيل الله .

(٦) سماع الرسول - صلوات ربه عليه - للشعر واستنشاده ،  
ودعائه لبعض الشعراء ولما ابتهم دلائل واضح جلى على موقف السنة  
- وهى تفسر القرآن - موقف الرضى والفرحيب .

---

(١) الواقعة ، آية ٨٠

(٧) اتخاذا الرسول للشعر ملاحا جاء بعد أن بدأ شعراء قريش المعركة الكلامية ، ورموا الرسول والمسلمين بسهام القول المسموم ، فهي الضرورة التي تبسح محظورا ، وحين فتحت مكة ، وانتهت المعارك الكلامية كشف الشعراء المسلمون عن الهجاء ومنعه الرسول وشافاؤه .

(٨) سار الخلفاء الراشدون — رضى الله عنهم — على نهج القرآن والسنة فاستمعوا للشعر واستأشروه ، لمكنهم حاربوا الشعراء الهجائيين وأخذوهم بالشدة حتى يحافظوا على مبادئ الإسلام ووحدة المجتمع . فالإسلام — ممثلا في القرآن الكريم والسنة المشرفة وسلوك الخلفاء — هيبا للشعر مكانا ، ورحب به فنا إنسانيا مهنيا ، يهرب عن النفس والحياة ، ويدعو إلى الحق والخير والجمال ، كذلك فإن الإسلام شجع الشعراء ، ودعاهم لأداء رسالتهم في سبيل نشر العقيدة ، وحماية الأخلاق ، وبناء المجتمع ، لكن الإسلام أيضا نهى عن تحويل الشعر إلى إيذاء للمسلم في عرضه ودينه وخلقه ، وطارد الشعراء إذا صاروا حربا على الدين أو الأخلاق ، وحين يمزقون وحدة المجتمع .

رابعاً : حالة الشعر في عهد النبوة والراشدين.

ينفرج عن قضية الإسلام والشعر، قضية أخرى تثار حولها الخلاف وتعارضت فيها الآراء ، وهي الحكم على الشعر في عصر النبوة والراشدين : أكان خاملاً ضعيفاً ؟ أم قوياً نشيطاً ؟

وكما وجدت النفوس المريضة — مستهزئين وعرباً متفرنجين — بجالاتهم الإسلام في موقفه من الشعر ، حين تفصيل الأحداث عن ظروفها ، وتبتر النصوص من مواقعها ، كي 'تغيب' الحقائق ، فكذلك تجد تلك النفوس بجالاتها لإثارة الغبار حول أضواء فترات تاريخنا الإسلامي: عصر الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين رضوان الله عليهم ، فتدعى موات الشعر وركوده ، وتوجز الحديث عنها كي تغيب الرؤية .

لقد اعتدنا أن نقسم عصورنا الأدبية ، فندمج هذه لفترة الباهرة ، مع فترة حكم الأمويين ، بحجة قصرها د ونكثي عادة في مدارسنا بتدريس نص مقتضب لحسان بن ثابت ، ليثل العصر النبوي ، وآخر لـكعب بن زهير ثم نمضي لنستوعب أدبياً ما يمثل جزئيات التاريخ والفرق السياسية الطارئة ، (١) وقد لا يستغرق ذلك من المدارس أكثر من صفحات قليلة ، 'جلها' اتهام باطل للإسلام بأنه خنق الشعر وضيق على الشعراء ، ثم يفردون بحقية الكتاب الضخم لعصر الأمويين في تفصيل لا مزيد عليه .

---

(١) شعر عصر صدر الإسلام : د . محمد عادل الهاشمي ص ٥

والأصل أن نعتز بفترات الخصوبة والانتصار في تاريخنا ونسب  
الحديث عنها ، عسى أن نخلق في النشء قدوة ومثالا ، ونزيده  
عزيمة ونضالا .

فكان الأولى استعراض نماذج من الشعر الإسلامي الذي واكب  
الدعوة مسجلا أحداثها ، متغنيا بانتصاراتها ، منالها أعيادها ، وأن نشيد  
بدور الشعراء في هذه الفترة . على أن بعض المدارس المعاصرين قد  
تدارك الموقف فخص عصر النبوة والراشدين بمكتب مستقلة (١)

وحين نستطلع رأى مؤرخي الأدب — وهم كثير — حول شعر  
تلك الفترة فإننا نفاجأ بتعارض الآراء ، وتناقض النصوص ، حتى  
أنوشك ألا نهتدى للحقيقة والصواب .

ويبدو أن القدماء كانوا ينظرون إلى الجزئيات فيحكمون على كل  
منها مفردة . وجاء المحدثون فأخذوا عنهم نقمًا من النصوص تخدم  
آراءهم ، فن قال بصف الشعر آنذاك وجدا ما يؤيده في كلام ابن سلام  
والأصمعي وابن خلدون وابن قتيبة ، ومن قال بقوته ونهضته هـر  
— أيضا — على إثباتات من كلام هؤلاء .

بل سرت عدوى النظرة الجزئية إلى بعض المحدثين ، فوجدناهم

---

(١) مثل الدكتور صلاح الدين الهادي : الأدب في عصر

النبوة والراشدين .

يذهبون من اليمين إلى اليسار بين صفحة وأخرى (١) .

ومن هنا رأيت الطريق الأمثل أن أعرض جميع الآراء وأناقشها رأياً رأياً ، ثم نتعرف على نماذج كافية - من شعر تلك الحقبة ، نماذج من كل الأفراض التي طرقها الشعراء وقتذاك ، وفي مختلف البيئات العربية ، كي نصل في النهاية - من المناقشة والاستعراض النصي إلى أكثر الأقوال قرباً من الحقيقة ، وإنصافاً للإسلام وللشعر .

أولاً : حجج القائلين بضعف الشعر : تنوع أدلة وحجج القائلين

بضعف الشعر في عصر النبي الكريم وخلفائه الراشدين ، ولعلنا لا نبعد عن الصواب حين نبدأ بأقوى تلك الحجج في نظر أصحابها ، وأكثرها دوراً على الالفة ، حتى ليكن القول بإجماعهم عليها ، وهي الأدلة والحجج المتصلة بالإسلام في موقفه من الشعر .

وموجز تلك الحجج :

(١) الموقف العنيف الذي وقفه القرآن من الشعر .

(٢) محاربة الرسول والقرآن للشعر .

(٣) تعارض قيم الإسلام مع الشعر الجاهلي ، فقد أبطأ أشياء

وهذب طبائع ، فكان في ذلك خنقاً للشعر .

(١) كتاب تاريخ الشعر العربي للدكتور عبد المريد الكفراوي

ص ٥٣ يذهب إلى إذكاء الدعوة الإسلامية للشعر ، وفي ص ٥٥ يرى أن الإسلام حارب الشعر وأحب أن يقضى عليه .

(٤) انبهار العرب بالقرآن وانصرافهم عن الشعر .

ولنبداً في تفصيل ما أوجزنا : يطالعنا حول الجبهة الأولى قول الأستاذ الدكتور عبد العزيز الكفراوى : « وإنما وقف القرآن من الشعراء هذا الموقف الصريح العنيف لأنهم صدوا عن سبيل الله ، وساربوا رسوله ، وآذوه في نفسه وعرضه ، وذن يدرى . . لعل القرآن كان يرى في الشعر منافسا يشغل بعض الناس عن تمام الانصراف إليه ، فأحب أن يقضى عليه قضاء نهائيا .

هذا هو الموقف العام للقرآن ثم جاءت التعاليم الدينية والروح الإسلامية بتفاصيل وتشريعات تكيل للشعر والشعراء ضربات أخرى غير مباشرة ، (١) .

ولست أدري : أيغنى الأستاذ الباحث من هذا الكلام طمس الحق أم هو يحمله ؟ إن الفقرة الأولى لا تحتاج إلى رد ؛ إذ أن المدارس قد وقف عند قوله تعالى ﴿ لا تقربوا الصلاة . . ﴾ فهو لم يكمل قراءة آية الشعراء حيث يقول المولى عز وجل ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . ﴾ وهل كان أمام القرآن إلا أن يقف هذا الموقف من حاربوا الله ورسوله ، وصدوا عن سبيله ؟ وهل يعاقب صاحب الجرم إن كان غير شاعر ، ويغفر له إن كان شاعرا ؟ كيلا يتهم القرآن بمكرهة الشعر والقضاء عليه ؟

أما الفقرة الثانية التي تنص على أن القرآن - لعله - رأى في الشعر

---

(١) تاريخ الشعر العربى ، ج ١ ، ص ٥٥



منافساً ، فهو القول الغريب الذي لم أصادفه عند دارس آخر ، فأى وجه المقارنة بين القرآن - كلام الله ووجهه - وبين الشعر - الذي مهما بلغ من جمال وكمال فإنه كلام بشر ناقص خطاء ؟ ثم أى وجه للمقارنة بين كتاب تشريع ودين للبشرية جمعاء ، حاضرا ومستقبلا ، وبين قصائد تعبر عن حالات نفسية وعاطفية ، في لحظات محدودة ، مهما تدهأت في قدرتها التعبيرية فإنها خاصة مؤقتة ؟

ثم أين ذهب القرآن بعد ذلك فقوى الشعر - حسب رأيه - في العصر الأموي ؟ ألم يكن باقيا يهدر الشعر والشعراء ؟ وأين ذهبت تعاليم الشريعة ، هل انتهى الإسلام - قرآنا وتشريعا بعد عهد الراشدين ؟

وإذا كان الإسلام قد وجه ضربات غير مباشرة للشعر والشعراء ، فكيف نفسر ذلك الحكم الهائل - وسوف يشير إليه الاستاذ نفسه - كيف نفسر ذلك الحكم من شعر الحواضر والبادى في جزيرة العرب في صدر الإسلام ، والذي يزعم كتب الأدب والتاريخ والسير والمغازي وكتب الصحابة ؟

وهناك رأى في هذا المجال يقول إن نفي القرآن لشاعرية النبي صلوات الله وسلامه عليه ، جعل الناس يظنون أن الشعر من أعراف الجاهلية وتقاليدما ، يحسن التخلي عنه مع بقية التقاليد الأخرى التي حاربها الإسلام .

وهي حجة مستطاه موافق الرسول وأقواله في الشعر والشعراء  
ومما عه للشعر واستنشاده ، وإثباته عليه ، وطالبه من الشعراء المسلمين  
نظام الشعر الذي يناخون به عن الدعوة ، ويردون كيد شعراء الشرك ،  
فهل يفعل الرسول كل ذلك ويظن الناس أن الشعر تقليد جاهلي ؟ .

وقيل أيضا في هذا الشأن : إن أعداء الدين قد خاربوه بالشعر ،  
فلما انتصر الإسلام وعم نور الله ، كرهته العرب — أى الشعر —  
فتناسوه وامتنعوا عن روايته ، وذلك إن صدق فإلما يصدق على شعر  
المشركين الذى تعرض للرسول الكريم ولدين ، ولكن ماذا عن  
الشعر الآخر ؟ .

وأضعف الشعر في رأى آخرين أنه كان قبيل الإسلام قد اتجه إلى  
الخروض في العقائد والقول في الأديان — وذلك يحدث للشعر إذا بلغ  
الشيخوخة — أى أنه قد هبط مستواه من ناسبه ، وصار مخالفا  
للإسلام من ناحية أخرى .

وما قاله الشعر في العقائد والأديان فيه نظرات صائبة أقرها  
الرسول وأعجب بها ، مثل بعض أشعار أمية بن أبى الصلت ولبيد  
وزهير ، وفيه خرافات وأباطيل عامها الإسلام كخيرها من الفيم  
الجاهلية المنهى عنها ، وذلك لا يبطل الشعر جملة ، ومسألة هبوط  
المستوى سوف تناقش في موضع آخر عند الكلام عن انتهاء عصر  
الفحول كما قيل .

ثانيا : محاربة الرسول والقرآن للشعر : كان الشعر الجاهلي  
بجبال لإظهار العصبية القبلية والاعتداد بالأنساب والأحساب ، وقد  
حارب الإسلام ذلك ، فكان من الطبيعي ألا يشجع الرسول الشعر  
والشعراء — هكذا يرى الدكتور درويش الجندى ، ثم يضيف  
إشارته إلى قوله تعالى ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ٠٠٠ ﴾  
وأىضا ﴿ وما علمناه الشعر ٠٠ ﴾ وإلى قول الرسول ﷺ «لأن يمتلىء  
جوف أحدكم ٠٠» ويعقب قائلا :

« فآزور جانب المسلمين عن قرص الشعر وروايته ، على علمهم  
بأن الدين لم يكرهه على إطلاقه ، وإنما كره منه ذلك النوع الذى يمزق  
الشمل ويشير دقائن القلوب » (١)

وأظننا قد ناقشنا موقف القرآن والسنة بما فيه الكفاية ، والاستاذ  
الباحث نفسه يقول « إن الدين لم يكره الشعر على إطلاقه » فلماذا  
يؤزر المسلمون لذن عن قرص الشعر وروايته ؟ على كل سوف نرى  
من خلال استعراض الحكم الكبير المتنوع للشعر الإسلامى أنهم لم  
يتوقفوا عن العظم ، أما الرواية فيثبتها ذلك التراث الشعرى الهائل  
الذى نتداوله .

هلى أننا نسلم مع الدارس بأن الإسلام قد نهى عن الشعر الذى

---

(١) الخطيئة البدوى المحترف ص ٦٣

يمزق الأواصر ، وينتت وحدة المسلمين ، لكنه نوع من الشعر وليس  
كل الشعر .

ويرى الدكتور محمد عبد العزيز الموانى ، أن الإسلام كان لا بد  
أن يعادى الشعر الجاهلى ، بوصفه تجسيدا للقيم الجاهلية التى ارتبط  
بها ارتباطا عضويا دقيقا ، وصورها تصويرا صادقا بكل محاسنها  
ومساوئها (١)

ولأن العرب كانوا يحيون شعرهم وينظفون حياتهم شعرا ، أى أنهم  
لا يفصلون بين الشعر والحياة ، لذلك فإن الإسلام حين يسعى لتغيير  
حياة العرب وسلوكهم ، فيجب عليه أولا أن يحارب الشعر الجاهلى  
باعتباره حاويا للقيم والمثل التى تحكم هذه الحياة وتوجهها .

وقد يفهم من ذلك أن الإسلام منع تداول الشعر الجاهلى وقضى  
عليه قضاء تاما ، حتى تمكن من تثبيت قيمه الجديدة ، مكان تلك التى  
يحوها الشعر .

وهو ما لم يحدث قط ، بدليل ما بين أيدينا من تراث الشعر  
الجاهلى ، ونحن لا نختلف مع الأستاذ الباحث فى أن الإسلام أتى  
بقيم تمارض قيم الجاهلية التى حوها الشعر ، غير أن وسيلة الإسلام  
لبث هذه القيم وتثبيتها لم تكن بدم الشعر الجاهلى أو بمحاربه والقضاء  
عليه ، بل كانت بالإقناع والمثل والقدوة ، ولا ريب أن الإسلام عد

---

(١) قراءة فى الأدب الإسلامى والأموى ص ١٢

الشعر الجاهل ميراثاً تاريخياً ، وسجلاً لعهد مضى ، نغيّره ولكن لا نمحوه ، نتخلّى عنه سلوكاً ومعاملة ، ولكن لا نتخلّى عنه تاريخياً وحضارة .

وحقيقة أن الإسلام طاردكمثاً من الشعر ومنع روايته ، حتى منسى وضاع ، ولكنّه شعر المشركين الذين هجّوا رسول الله ﷺ وتناولوا أعراض المسلمين وصنّوا عن سبيل الله ، وهو ما نظم في سنوات الحروب بين مكة والمدينة .

ويكمل الأستاذ الباحث رأيه « بل إن موقف الإسلام من الشعر مرتبط بموقفه من الحياة الجاهلية ، التي جاء للقضاء على كثير من قيمها فهو إذا حارب قيمة من هذه القيم ، فإنه بالضرورة يحارب الشعر الجاهل المجسد لها » (١) ثم يعدد طائفة من تلك القيم التي حاربها الإسلام كشرب الخمر والغزل الفاحش والهجاء المقذع والتنازع بالألقاب ، والمدح طلباً للعطاء وكل ذلك تجسد في كم هائل من الشعر منع الإسلام رواجه وانتشاره ، (٢)

أترى يقصد الأستاذ الباحث من محاربة الشعر المجسد لهذه القيم ومنع رواجه وانتشاره ، هل يقصد محوه أو نسيانه أم يقصد ألا ينظم الشعراء المسلمون على نسقه وفي موضوعاته ؟

إن كان النقص الأول فهو ما لم يحدث ، لأن الشعر الجاهل باق

---

(١) المرجع السابق ص ١٤ (٢) المرجع السابق ص ١٤

- أغلبية - رغم تحسيده لتلك القيم والإشادة بها ، وإن كان يقصد ألا ينظم المسلمون مثل ذلك ، فهو ما كان لا بد أن يحدث تلقائيا ودون محاربة من الإسلام للشعر ، فالنغيب الجذري الشامل الذي أحدثه الإسلام ، وتشربته النفوس عن اقتناع عقل و يقين قلب ، ذلك النغيب ، صلب شعركم بعصبته ، فأصبح ينبع ويصور هذه القيم الجديدة عفويا بلا إلزام ، اللهم إلا في النادر حين لا يصل الاقتناع إلى العقل أو لا يبلغ إيمان القلب مرتبة اليقين لدى البعض القليل من الشعراء ، فينحرفون عن جادة الطريق ، وهذا يؤججهم الرسول الكريم ، أو خلفاؤه الراشدون ، كما حدث في المواقف المروية قبلا .

وإلى هذا الرأي يذهب الدكتور د صلاح الهادي ، ، فبعد مناقشة موقف الإسلام من الشعر يعلق قائلا « نخلص من هذا إلى أن الإسلام لم يصرف المسلمين عن الشعر كله ، ولم يشغلهم عن إنشاء ما حسن منه ، أو إنشاده أو سماعه ، وأن الرواية الشعرية لم تتعطل كلها في العهد النبوي ، (١) .

لقد نشط الشعر الاسلامي في حواضر الحجاز - مكة والمدينة والطائف - كما ظل الشعر في البوادي - قبل أن ينتشر فيها الإسلام - ظل مصورا لمعياتها مروجا لقيمها وأعرافها . وكان الأستاذ الدكتور « شوقي ضيف » قد سبق إلى هذا الرأي أيضا : « من الظلم للإسلام أن يقال إنه كف العرب عن الشعر ووقف نشاطه ، فقد كان يزدهر على كل

---

(١) الأدب في عصر النبوة والراشدين : ص ٢٢٧

لسان ، وساعدت الأحداث على ازدهاره لا على خوله ، (١) .

وفي مجال التعارض بين قيم الإسلام والشعر الجاهلي وما أدى إليه هذا التعارض من محاربة الإسلام للشعر يدلي المستشرق « جيب » بدلوته : . . . إن الإسلام والرسول الذي كان له شاعره الخاص به ، حسان بن ثابت ، قد وقفوا منذ البداية موقفًا معاديا للفن الشعري ، ذلك أن هذا الشعر كان سجلا للقيم والمثل الجاهلية التي جاء الإسلام للقضاء عليها .

ويقول مرة أخرى دومن هنا نبعت هذه الحقيقة التي تهدمنا وهي أن ظهور الإسلام لم يخلق شاعرا واحدا في أمة الشعراء ، وأن تسجيل الشعر الإسلامي لأعجاد الإسلام - بالقياس إلى أعجاد الماضي في الشعر الجاهلي - لا يتعدى قصيدة كعب بن زهير ( بانث سعاد ) وحتى هؤلاء الشعراء المعروفون الذين كانت لهم مكانتهم الشعرية في الماضي ، قد أمسكوا عن قول الشعر ، فلا يعرف مثالا شعر إسلامي للبيد ، ذلك الشاعر العظيم الذي كان شعره ، كما تصوره معلقته المعروفة ، من خير أشعار الجاهلية جميعا على الرغم من أنه قد عاش بعد إسلامه ما يقرب من ثلاثين عاما ، (٢) .

أوشكت - والله - أن أنجاهل هذا النص لما فيه من سوء فهم

---

(١) العصر الإسلامي : ص ٤٦

(٢) قضايا الشعر في النقد العربي : د . إبراهيم عبد الرحمن ص ٢٧٥

ومغالطات وجمل بالحقائق ، ولكن خشيت أن يطالع عليه بعض الناشئة فيتأثر به أو يتصور صحته ، فلنتبع المغالطات إن : دجب ، يفاقض نفسه من البداية حين يدعى عداوة النبي للشعر ، واتخاذ شاعرا خاصا ، فكيف يكون ذلك ؟ أما رعم العداوة فقد دحضناه من قبل ، وأما أن الإسلام لم يخلق شاعرا واحدا ، ففيه ضيق فهم للبعد الزمني ، لأن الإسلام لا يعنى سنوات البعثة وحياة الرسول ﷺ فقط ، كما لا يعنى سنوات خلافة الراشدين أيضا ، وإنما الإسلام يعنى أكثر من أربعة عشر قرنا منذ ظهوره إلى الآن ، وإذا حدد حكمه بالسنوات الأولى ، أى عشر أو عشرين سنة ، فهي غير كافية طبعا لحاق شاعر في أى مجتمع ، وليس في المجتمع الإسلامي رحمه ، متى يولد ويتشقف ، ومتى ينبغ شاعرا ؟

وفي القول كذلك جمل بالحقائق الأدبية والتاريخية ، فأين الشعراء المخضرمون الآخرون - خير حسان - كهبد الله بن رواحة وكعب بن زهير والنابغة الجعدي والأعشى الكبير ، ولبيد وكعب بن مالك والعباس بن مرداس والحصين بن الحمام الهري ، والشماخ بن ضرار ، ومقيم بن نيرة وأبو ذؤيب الهذلي والمخبل السعدي والنمر بن تواب وضرار بن الأزور وأبو محجن النخعي والبريق بن عياض الهذلي وأميرة بن حمران الأسكر . . . وغيرهم ؟ والجيب في مطالع العهد الإسلامي ، فإذا تقدمنا قليلا وجدنا الرقيات والسكيت وابن أبي ربيعة ، فإذا يقول دجب ، حينئذ في الشعراء الإسلاميين ؟



وما قاله عن تسجيل أجداد الإسلام في «بانت سعاد» سذاجة وجهل ،  
لأن القصيدة كانت في أول لقاء بين الشاعر والنبي عليه صلوات الله  
وسلامه ، وكان كعب لا ينبغي أكثر من الاعتذار وطلب العفو وإعلان  
التوبة والإسلام ، وقدم بين يدي ذلك ببضعة أبيات تمدح الرسول  
والمهاجرين ، دون أية إشارة لمجد الإسلام ، ولبيد له شعر إسلامي  
ذكره كثير من الدارسين ، وبقية الشعراء المعروفين لم يمسكوا عن قول  
الشعر ، وإلا فلن ينسب هذا الحكم الكبير من شعر صدر الإسلام ؟  
بقي في مجالنا هذا مناقشة قول الأصمعي شاع في كتب النقد وتاريخ  
الآدب للقدماء والمحدثين ، ويدور حول ضعف شعر حسان ، يقول :  
« الشعر نكد بابه الشر ، فإذا دخل في الخير ضعف ، هذا حسان بن  
ثابت ، فل من فحول الجاهلية فلما جاء الإسلام سقط شعره ، وقال  
أيضا : « شعر حسان في الجاهلية من أجود الشعر ، فقطع مئنه  
في الإسلام » (١) .

ولم نل نستغرب هذا القول من أحد رواة الشعر الجاهلي المشاهير ،  
وأحد اللغويين أيضا ، لقد تمارس بذلك الشعر وتشربة ، فتربى ذوقه  
عليه ، وصار لا يحن جمالا إلا فيه ، ولا يستمتع بفن سواه ، إن  
ما يصدّر به مقولاته من أن الشعر يحسن في حالات الغضب ومواقف  
الثورة وحادثة الانفعال ، ويجهل ذلك في كلمة نكد ثم شر ، هذا

الكلام يخالف الحكم النقدي الصائب، وهو أن قوة الشعر وأصالته، أو ضعفه وزيفه وكذا جماله وتأثيره، أو قبحه وهوانه، كل ذلك إنما يرجع إلى مقدرة الشاعر وموهبته، وامتلاكه لادوات التعبير، ثم إلى معاناته الصادقة التجربة ومعاشيتها، حتى يستطيع نقل انفعاله المتلقية، وسواء كانت التجربة خيِّرة أو شريرة، سواء كان العامل المؤثر في النفس هاجس رحة وتماطف، أو كان نزوعاً للقسوة وفرضاً للقوة، سواء كان حباً أم كراهية، إقبالا أم إعراضاً، ترضياً أم ترهيباً، وأياً ما كان مصدره: داخلياً أو خارجياً، إن العامل هو الناثر بهذا العامل والانفعال به، ثم إيصال هذا الانفعال للمتلقى بالتعبير عنه تعبيراً جميلاً صادقاً، وسوف نرجى الحكم على شعر حسان في جاهليته وإسلامه إلى دراسة مفصلة فيما بعد.

والآن نصل إلى حجة إعجاز القرآن وانبهار العرب به، وهم القوم اللسنون للبلغاء، المعتقدون بفصاحتهم وبيانهم وقرآن أثر في جميل، بالغ من الرفعة أسمى ما يمكن أن ينتهي إليه أثر في هذه اللغة،<sup>(١)</sup> لحدث لهم ما يشبه الصدمة أو الإلخام وأثر ذلك على بلاغتهم التي ظهر مدى تواضعها وضآلتها إذا قيست بالقرآن، ولذا كف البعض عن قول الشعر، أما من واصل عطاءه، فقد جاء شعره في مستوى أقل جودة وإحساسه بالعجز وشعوره بالاضالة أمام هذا الطود الأشم

---

(١) تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري

د. عبد العزيز الكويراوى ص ١١٣

الذي لا تتناول اليه الأعناق ، (١) .

والى هذا يذهب أيضا الأستاذ بهيمب محمد البهيمبي : « فشغلوا بالقرآن ، وسكت الشعراء ليستمعوا إلى كلمة الله ، (٢) .  
ولعل المحدثين قد تأثروا بخطى ابن خلدون في قوله « ثم انصرف العرب عن ذلك أول الإسلام بما شغلهم من أسرار الدين والنجوة والوحى ، وما أدهشهم من أساليب القرآن ونظمه فأخسوا عن ذلك وسكنوا عن الخوض في النظم والنثر زمانا ، ثم استقر ذلك ، وأونس الرشد من الملة ، ولم ينزل الوحى في تحريم الشعر وحظره ، وسمعه النبي ﷺ وأثاب عليه ، فرجعوا حينئذ إلى دينهم منه » (٣) وقد فأت المحدثين تحديد الفترة التي انبهرت فيها العرب ، وسكنوا عن الشعر ، كما حاول ابن خلدون ، وإن لم يكن دقيقا في تحديدها . على كل يمكننا أن نناقش هذه الآراء مجتمعة ، فنسأل : على من يصدق حكم الانصراف عن الشعر ، أو نظمه بمستوى أقل ؟ إن كان على المسلمين فإنه غير جائز ، لأنهم يعرفون أن القرآن وحى إلهى وكلام أنزله الله ، فلا موضع للمقارنة بينه وبين كلامهم ، لقد اعتبروه مثالا أعلى ، يتأثرون به ويعتدون ببلاغته ، ولكنه ليس منافسا يتبارون معه .

---

(١) الحطيطه : د . درويش الجندى ص ٦٣

(٢) تاريخ الشعر العربى حتى آخر القرن الثالث الهجرى

د . عبد العزيز الكفراوى ص ١١٣

(٣) مقدمة ابن خلدون : ص ٥٤٧

ولا وجه لإدخال شعراء المشركين في القضية لأنهم كانوا  
في القرآن أصلاً ، وأبوا الاعتراف بإعجازه وإجاده ، بدليل  
ادعائهم أنه شاعر أو سحر أو كهانة ، وتطاولهم بزعم القدرة على  
الإتيان بمثله ، بن ومحاولة ذلك ، وجاء النجدي الإلهي رداً على المكابرة  
( قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ،  
لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهراً ) (١) . ثم إن هذه الحجة  
لا تتفق وما حفظت عن تلك الفترة من شعر للمسلمين والمشركين .

وفي قصوري أن مقصد ابن خلدون هو معالجة الأمر على أنه ظاهرة  
اجتماعية ، فالجديد يهز الناس ويشد انتباههم فترة ، يتحيدون فيها  
بين القبول والرفض حتى يألفوه ويقتنعوا به ، ويسهم في تسبيح  
عقولهم ويصبح جزءاً من ثقافتهم ، فيتسرب إلى إبداعهم الأدبي .  
وهذه النظرة قد تفسر عدم تأثر الشعر تأثراً عميقاً بقيم الإسلام  
ومبادئه في السنوات الأولى للبعثة ، ولكننا لا نصلح لتبرير القلة  
أو الضعف .

ويعبر « ابن سلام الجهمي » عن القضية بكلمتي تشاغل واهت ،  
وذلك مكان انصرفوا وسكنوا « فجاء الإسلام فتشاغلت عن الشعر  
العرب ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، واهت ( العرب )  
عن الشعر وروايته ، فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح ، واطمأن

---

(١) سورة الإسراء : آية ٨٨

العرب بالأمصار ، راجعوا رواية الشعر ، فلم يقولوا إلى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب ، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالاموت والقتل ، لحفظوا أقل ذلك ، وذهب عليهم منه كثير، (١)

ولئن كان النص يعالج مشكلة ضياع الكثير من الشعر الجاهلي ، وسوف نتطرق من ذلك إلى مشكلة الوضع والتزييف أو الانفعال ، إلا أن اتكاه الكثيرين عليه كشاهد على انشغال العرب عن الشعر بالإسلام والجهاد ، جعل الدكتور شوقي ضيف يرد عليه (٢) وأما قوله بأن العرب لم تهمل الشعر وشغلت بالجهاد ، فبينة قضه ما تحمله كتب الأدب والتاريخ من منظوماته الكثيرة ومن أسماء ناظميه ، ويرد باحث آخر دفلو كان العرب قد تشاغلوا عن الشعر وروايته وفقد تأثيره على عواطفهم ووجدانهم ، ما أهدر الرسول دم كعب من أجل شعره الذي هجاه به ، وما كان الرسول يسكافته بأن يخلع عليه بردته ، (٣) .

وفنس الكلام يهديق على مواقف عديدة فضب فيها الرسول ﷺ ، لشعر ، أو رضى وأثاب عن شعر . وما النضب والرضى في هذه المواقف أمر شخصى فقط . ولاكنه من أجل الجماعة فلولاء علم الرسول بأمر ذلك الشعر حين يتناقل على الألسنة في أنحاء الجزيرة ، لما فضب

(١) قضايا الشعر في النقد العربى د . إبراهيم عبد الرحمن ص ٢٧٢

(٢) دراسات في نصوص وأدب العصر الإسلامى ص ٣٩

(٣) نحو أدب إسلامى معاصر : ص ١١٣

أورضى ، واعتراض قريش طريق الأعدى كلما هم بلمقاء الرسول  
فقد ببطه عن ذلك بما لا يفريه أو تهديد يثنيه ، إنما كان خوفا من أن  
يسلم ، فيهصبح شهره قوة في جانب المسلمين .

لم يكن الجهاد والفتوح شاغلا للعرب عن الشعر ، بل كان من أهم  
عوامل قوته ، وازدهاره ، كما سنرى فيما بعد .

ثم إننا نرى أن نفرق بين العمل المادى الذى قد يشغل عنه  
الإنسان بعمل آخر ، وبين الانفعال الذى لا يمنعه مكان أو زمان ،  
فحيثما انفعال الشاعر تفجرت قريحته ، وسال لسانه بكلمات الشعر ، (١)  
وأخيرا . . فإن بعض الدارسين يرى أن الشعر الجاهلى قد بلغ  
قمة نضجه ، واهتمر كل ما فى أنماطه من إمكانات فنية قبل الإسلام ،  
فاجتمع فى فترة قصيرة عدد من كبار الشعراء ، وانتهى عصر هؤلاء  
الكبار فى وقت إشراق النور الإسلامى ، فكان على الشعر أن يختار  
بين حياة جديدة بأدوات تعبيرية وقيم فنية جديدة ، وبين الإفلاس  
واجترار ما قال السابقون ، ولكن التجديد يحتاج زمانا حتى يتقبله  
المبدع والمتلقى . ومن هنا نلاحظ هذا المنعطف فى شعر صدر الإسلام ،  
حتى ينمو جيل جديد من الفحول يرد إليه قوته ويهوضه ما فقد بانتهاء  
عصر فحول الجاهليين .

والحق أن هذا القول بانتهاء عصر الفحول قبل الإسلام . وأن  
الشعر الجاهلى بلغ مرحلة الشيخوخة والوهن ، هذا القول نوع من  
النهيم غير العلمى ، أو غير الموضوعى ، فمن المفروض أن العباقرة

(١) نحو أدب إسلامى معاصر ص ١١٣

وكبار الشعراء أو الأدباء لا يظهرون في عام واحد ولا يذهبون كذلك في عام واحد ، قد يتقارب نبوغهم زمنيا ، وقد يتعاصرون ، ولكن ظهورهم واختفاءهم يتم متتابعا أو متلاحقا بحيث لا تخلو ساحة الأدب والشعر تماما من بعضهم ، ربما زاد العدد أو قل في فترة عنه في أخرى ، ولكنهم لا بد موجودون بشكل أو بآخر ، ذلك منطلق الطبيعة وسنة الحياة حتى يسلم السابق رايته للإحق وتستمر المسيرة متواصلة حية ، وهو حكم الكون في كافة المجالات الإنسانية وليس الأدب فحسب .

وفي مجالنا خاصة نجد أن الإسلام قد أشرق نوره على الجزيرة وفي الساحة الشعرية أصوات عالية شهيرة ، تنافس وتبارى ، مضيئة إلى التراث ، مهيئة الفرصة لأصوات فضة تتلمس طريقها وتقتدى بالكبار ، إننا نجد دحسان بن ثابت وكعب بن زهير وليد بن ربيعة والعباس بن مرداس والحطيئة والذليلين ، وغيرهم وقبل أن يبرح هذا الجيل ساحة الشعر ودنيا الناس ، كان جيل آخر من النحول يتشرب منهم أصول الشعر ، ويضيف من عنده ، ما لم يلحقه السابقون بسبب التطور ، فلم يكن في عصر الإسلام عباقرة وشعراء كبار ، لما ظهر هذا العدد الغفير من شعراء عصر بني أمية ، وهم على هذا المستوى الرائع ، والذي فاق الجاهليين كثيرا كتما وكيفا ، إن السفوات القليلة التي تنصل بين عصر صدر الإسلام ، وعصر بني أمية ، لا تكفي لنبوغ هؤلاء الشعراء ، لو لم يعادفوا أسائدهم ونهمهم ، وكبارهم

يرشدونهم ، ومثلا يمتدنون بها ، وقد لا يكون التوجيه مباشرا ،  
أو التعليم في قاعة الدرس ، ولما كانت القدوة والمثال ، والآثار التي  
يربّي ويثقف .

ولا ريب أن الإنصاف يقتضي لنا عرض آراء من قالوا بقوة الشعر  
واندماجه في صدر الإسلام - وفيهم قداماء ومحدثين - وهم قد  
يستخدمون أدلة القائمين بالضعف على أنها أدلة قوة . إذا  
نظرنا إليهما من زاوية أخرى ، فإعجاز القرآن مثلا ، حافز  
للشعراء وقدوة لهم في الفصاحة والبلاغة ، تجدد أساليبهم ، وتمدهم  
بأنماط فنية لم تكن معروفة للجاهليين ، والوقفة واللين اللذان يشار  
إليهما في شعر حسان أو غيره من الإسلاميين ، هما ميزتان ودليلا  
تطور سرف تتضح قيمتهما حين يتقدم الزمن ، وتلتقي بالغزل العذري ،  
أما الممارك بين الإسلام وأعدائه ، ثم حروب الردة ، وما تبعها من  
الفتوح ، فقد كانت خيرا وبركة على الأدب عامة والشعر خاصة ، أو لم  
تظهر شاعرية قريش ، وتمدد الشعر بموضوعات جديدة ، وتفجر طاقة  
الإبداع عند كثيرين لم يعرفوا بها قبلا ؟

وتبقى النيم الإسلامية الجديدة والتي حزن من أجهالها محبوا الشعر  
الجاهلي وتساءلوا في أسف : فماذا بقي من أفراض الشعر ؟ (١) . إنها في  
رأي المنصفين طوق النجاة - ليس للحياة العربية فقط - ولكن للعالم

---

(١) تاريخ الشعر العربي : ص ٥٥



أجمع ، وأيس في ميدان الدين والمجتمع لحسب ، ولكن في مجال الشعر والفن عامة . فلنفصل ذلك :

هناك بعض الملاحظات التي توضع في الاعتبار عند إصدار الحكم بالقوة أو بالضعف على الشعر في فترة البوّة والخلفاء الراشدين ، وتلك الملاحظات هي :

١ - قصر المدة الزمنية - موضوع الحكم - فهي لا تتعدى أربعين سنة ، وهي مدة أقصر من أن تتيح الفرصة لنمو الشعراء الجدد ، أو تأصيل القيم الفنية المستحدثة ، أو حتى إنتاج الحكم الشعري الكافي للحكم ، في حين أن الشعر الجاهلي موضوع المقارنة قد استغرق ما بين أو مائة وخمسين سنة ، أرسى تقاليده ، وقعد لفنونه ، وتوصل إلى أساليبه التعبيرية وأدواته ، وخاض التجارب العديدة حتى استكشف طريقه ، وكثرت نماذجه وتنوعت ، فسلمات للدارسين صياغة التعليل والدرس والحكم ، بل بهرتهم بكثرتها وتنوعها ، فكيف تصح المقارنة ؟ .

٢ - وهناك كذلك ملاحظة هامة : لقد هاش الشعراء الجاهليون حياة تكاد تكون ثابتة بلا تغيير ، وأشربوا قيما لا تبدل عبر مئات السنين ، وتكيفوا معها وعرفوا طرائق التعبير عنها وتصورها ، أما الشعراء المسلمون فبعد التحول الهائل في القيم والعقيدة على يد النبي ﷺ تلاشت الأحداث ، من صدام مع الكفر والشرك ، إلى

فتح مبين وانصر مؤزر ، ثم موت الرسول الكريم وما أحدثته من هزة  
أوشكت أن تذهب بلب أعقل العقلاء ، وما تبعه من نقاش حول  
الخلافة .

ثم حروب الردة التي زلزلت عقائد ضعيفة، وهزت نفوسا خائفة،  
وبعدها فتوح الإسلام، فوطئ العرب أرضا كان يستحيل عليه أن يطأها،  
ورأى حضارات واطلع على ثقافات لم يكن ليراهما لولا الفتوح ،  
والآهم من ذلك أنه عاش تجارب جديدة ، وعانى هموما وشواغل لم  
يعرفها آباؤه وأجداده ، حركت في نفسه كوامن الإبداع وفجرت  
مليكاتة، وحفزته لتصويرها في الشعر ، وليكنها محتاج زمنا لتختصر .

٣ — وعليها أن نراعي أيضاً — قبل الحكم — أن شعر هذه الفترة  
يضم شعر المسلمين وشعر المشركين ، وأن شعر الشرك قد أهمل وضاع  
أغلبه ، لما فيه من مساس بالدين والرسول والمسلمين ، فالحكم هنا يصدر  
على بعض الشعر وليس عليه كله ، وحتى هذا البعض الذي نهى عنه ،  
مبعثر متناثر في عشرات الكتب والمخطوطات ، منها كتب الأدب  
الموسوعية ، وكتب السير والمغازي والتاريخ ، كذا كتب الطبقات  
والأنساب وكتب الصحابة ، ولذا : فلا يمكنني هنا حكم صحيح يجب  
جمع وتصنيف كل هذا الكم من الشعر ، والدليل على ذلك التوزيع  
للشعر في مطلع العهد الإسلامي ، هو أن النماذج التي ترد منه في كتب  
تاريخ الأدب تختلف وتتنوع حسب المصدر الذي أخذ منه الدارس ،  
فمنها من السيرة ، وذاك من الطبري ، وغيرهم من الأغاني ، وهكذا .

بقي أن نسمع لمن قالوا بالقوة وتعرف على أدلتهم مفصلة :

١ — يقول ابن خلدون . . . إن كلام الإسلاميين من العرب  
أعلى طبقة في البلاغة وأذواقها من كلام الجاهليين في منشورهم ومنظومهم  
فإنما نجد شعر حسان بن ثابت وعمر بن أبي ربيعة والطيبة وجري  
والفرزدق ونصيب وغيلان وذو الرمة والأخوص وإشعار ، ثم كلام  
السلف من العرب في الدولة الأموية وصدر الدولة العباسية ، في  
خطبهم وترسلهم ، ومحاوراتهم للملوك ، أرفع طبقة من البلاغة في شعر  
الفاخرة وعنترة وابن كثوم وزهير ، وعلقمة بن عبدة وطرفة بن العبد ،  
ومن كلام الجاهلية في منشورهم ومحاوراتهم ، والطبع السليم والذوق  
للصحيح شاهدان بذلك للفاقد البصير بالبلاغة . والسبب في ذلك أن  
هؤلاء الذين أدركوا الإسلام وجمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن  
والحديث الذين عجز البشر عن الإيمان بمشايخها ، لم يكونوا ولجت في  
قلوبهم ، ونشأت على أساليبها نفوسهم ، ففهمت طباعهم وارتقت  
ملايكاتهم في البلاغة على ملايكات من كان قبلهم من أهل الجاهلية من لم  
يسمع هذه الطبقة ، ولا نشأ عليها ، فكان كلامهم في نظمهم وفنهم  
أحسن ديباجة وأصفى رونقا من أولئك ، وأرصف مبعث ، وأعدل  
تشقيفا بما استفادوه من الكلام العالي الطبقة ، وتأمل ذلك يشهد لك  
به ذونك إن كنت من أهل الذوق والتبصر بالبلاغة ، (١) .

---

(١) المقدمة : ص ٤٣ ، ٤٤

وإلى أثر القرآن على بلاغة العرب تشير الدكتور دانت الشاطي .  
وهي تشرح مدى اعتزاز العرب بفصاحتهم ، وكيف كان القرآن  
تشريفا لهذه الفصاحة ، وهو آية تقدير لبيان العرب ، لم تجيء لتعطيل  
البيان ، بل لتقر للعرب بشرف القيادة الوجدانية ، (١) وفضل القرآن  
لا يقتصر على كونه قمة في جمال التعبير ، ودقة الوصف وكمال البلاغة ،  
أو قول موجز : إعجاز بياني ، اسكن فضله على الأدب شعرا ونثرا  
يمكن كذلك في كونه وحده العرب لغويا حين صهر طبعاتهم في بوتقة  
اللهجة القرشية بعد تطعيمها بمفردات وأساليب من اللهجات الأخرى ،  
وبذا فتحت مجال الذبوع والانتشار أمام الشعر العربي الإسلامي بعد  
الفتوح ، وكان القرآن الكريم حائطا ومستودعا للعربية أبد الدهر ،  
ورغم تقلبات الأحداث والأزمان ، فظلت من أقدم اللغات الحية .

٢ — وفي مقدمة المحققين من مؤرخي الأدب الذين يدفعون تهمة  
ضعف الشعر الإسلامي ويذهبون إلى الرأي المماكس ، دكتور  
« شوقي ضيف » ، ويرى أن من أهم الأسباب التي أدت لنهضة الشعر  
وازدهاره إبان النهضة وعهد الراشدين ، ما تتابع من أحداث هامة  
مؤثرة في الجزيرة ثم فيما حولها وكون الشعر - إسلاميا - قد واكب  
هذه الأحداث ، فبكل حدث وقع أسمهم الشعراء بتسجيله وإثبات  
نتائجه ، يفخرون بما فيه نصر للدين وإعلاء لمكانة الله ، وينددون  
بأعداء الإسلام . ففي بداية الدعوة كان الشعر سلاحا فعلا ضد

---

(١) قيم جديدة في أدبنا ص ٨٣

الكفار والمشركين، بر د كيدهم وينافح عن الرسول ﷺ وعن المسلمين.  
وفي حروب الردة ، خاض المسلم المعركة بلسانه كما خاضها بسيفه ،  
فهاجم المرتدين وحس المجاهدين .

فلما استقرت الدولة وانطلقت قوافل النور والإيمان إلى أفواج  
الأرض ، رافتهم الشعر يعزف على أوتاره القديمة ويستحدث أخرى  
جديدة ، وفي فتنة عثمان وفي حروب علي ، في كل تلك الأحداث لم  
ينخفض صوت الشعر مبراً عما يعتقه كل فريق من رأى « فالشعر لم  
يتوقف ولم يتخلف في هذا العصر ، وهذا طبيعي لأن من عاشوا فيه  
كانوا يعيشون قبله في الجاهلية ، وكانوا قد انجلت عقدة لسانهم وعبروا  
بالشعر عن عواطفهم ومشاعرهم ، فلما أتم الله عليهم نعمة الاسلام  
ظلوا يصنعونه وينظمونه » (١) .

وبعض المدارس الذين ذهبوا إلى ضعف الشعر الاسلامي لم يذكروا  
مواكبة الشعر للأحداث ، يقول الدكتور الكفراوي « يل إن كبار  
شعراء تلك الفترة ، البهيديين عن ميدان المعركة ، لم يفلتوا من جاذبية  
تلك الثورة الجديدة المنبثقة من الحجاز ، وإن لم يتدخلوا فيها تدخلا  
مباشراً ، ومنهم الأعشى الكبير الذي مدح الرسول بدالية رائعة » (٢) .  
وقد اعتبر بعض النقاد أن المشاركة المستمرة من الشعراء

---

(١) العصر الاسلامي : ص ٣٤

(٢) تاريخ الشعر العربي ص ١ ص ٥٤

في الأحداث المتلاحقة ، اعتبروها سبباً لمهبط مستوى الشعر ، وهو قول فيه نظر ، فالأصل أن هذه الممارك كانت عامل إذكاء للشاعرية ، وإثارة البواهب ، ودعوة للشعراء كي يؤدوا دورهم ويبلغوا رسالة الشعر في نصرة الحق والخير ، وهي مجال للتبارى والاحتكاك بين القرائح . أما الاحتجاج بأن شعر الأحداث ربما غلب عليه طابع المناسبات الوقتية ، واتسم بأسلوب الخطابية والمباشرة ، فإن الرد على ذلك هو أن المناسبة كثيراً ما تصبح مجرد تكملة أو نقطة انطلاق تهيج عاطفة الشاعر ، وتثير وجدانه ، وتفتح أمامه آفاقاً جديدة ، ثم إن العرب قد اعتادوا على مثل تلك المبارزات الكلامية منذ جاهليتهم ، وهم شعراء بالفطرة والسليقة ، وكثيراً ما يرتجلون ، فليس الأمر جديداً عليهم ، وليس كل شعر المناسبات هابط المستوى أو ضعيف فنياً .

على أن زهو المسلم وهو يحس أنه بشعره يقصر الدين ، ويملأ الحق ، ويزهق الباطل ، ويجاهد في سبيل الله ، كل ذلك يحفز به إلى التجويد ويزيد في طاقة إبداعه .

(٣) ثم يستشهد الممارضون بالحكم الضعيف على الشعر الإسلامي بكثرة النصوص التي خالفتها تلك الفترة على تصرفها ، لقد خص ابن هشام الشعر بباب واسع في سيرته ، يضم عشرات القصائد ومئات الأبيات وكذلك الطبري ، ثم كتب الأدب كالأنباري ، وكتب الصحابة كالإصابة والاستيعاب ، جميعها ذخيرة بقصائد ومطولات وقطع

تدحض زعم من قال بضعف الشعر أو نحو له وهو زعم غير صائب ، بل هو زعم يسرف في تجاوز الحق ، وبعد رد الزعم يرى الدكتور « ضيف » أن قوة العقيدة في قلوب الشعراء ورغبتهم في أن يعم نورها جميع الخلق ، بما جعلهم يتسابقون إلى الاشتراك في الجهاد ، وجعلهم ألهنا يصعدون عن هذه العقيدة في شعرهم « صدور الشدى عن الأزهار الأرجة » (١) .

ويذهب الدكتور الكفراوى إلى هذا رأى في إحدى المرات التي انتقل فيها من المؤيدين لتراجع الشعر ، إلى صفوف المعارضين لذلك ، وإن استعمل فعل الظن « وأظننا الآن ، وبعد أن وقفنا على هذا العدد الضخم من الشعراء الذين وقفوا بجانب الدعوة الجديدة أو ضدها ، نستطيع أن نؤكد ما قلناه سابقا ، من أن تلك الدعوة قد أذكت الشعر واجتذبت كثيرا من الشعراء نحوها » (٢) .

(٤) وهناك دلائل جديدة على النشاط والازدهار الشعرى في عهد الرسول الكريم وخلفائه ، وهو نبوغ عدد من الشعراء في بيئات لم تعرف قبل الاسلام بالشعر ، ولم تهتم به ، وتلك هى الحواضر والمدن الحجازية كمكة المكرمة والطائف . لقد عاش الجاهليون زمانا والشعر مركّز في البادية ، وليس للمحاضرة إسهام فيه ، اللهم إلا بعض الأهاجى

---

(١) العصر الإسلامى : ص ٥

(٢) تاريخ الشعر العربى : ص ٥٣

بين الأوس والخزرج في يثرب ، فلما بعث النبي ﷺ وتصدت له قريش بالإفكار والكفر ، ثم هاجر بناء على أسرويه ، وتفجر الصراع بين مجتمع الإيمان في المدينة ومجتمع الكفر في مكة ، وشارك الشعراء في كلا المعسكرين فظهر الشعراء في مكة أولا ، كما كثر شعراء المدينة ، ثم انضمت إلى ذلك الركب الشعري حواضر أخرى ، فالمدن والحواضر الحجازية كانت أوثق اتصالا وأسرع تأثرا بدعوة الإسلام - تأييدا أو معارضة - لقد وفر الإسلام بما أحدثه من زلزلة دينية واجتماعية واقتصادية ، أدت إلى الصراع - وهو أهم باعث للشعر ، وهو الشائرة كما عبر ابن سلام ، أو الصدام الفسكوى الذي يولد الصراع المسلح .

كذلك اعتمدت مكة من قديم على مكانتها الدينية ، وافتخرت قريش بمسندة الكعبة ، فلما جاء الإسلام ، سلبها هذه المكانة فبعثت عن مجال آخر للمجد والشهرة كانت تهمله من قبل ، وهو مجال الشعر الذي رأت فيه أيضا سلاحا باترا .

هـ - ولا مرأى في أن الإسلام وما رافقه من أحداث ، سواء في السنوات الأولى داخل الجزيرة العربية ، أو فيما بعد حين انطلقت الجيوش الفاتحة تكبر باسم الله عبر حدود الجزيرة ، لا مرأى في أن ذلك قد هبأ للشعراء أغراضا جديدة ، وافتته إلى ميادين لم يطرقتا من قبل ومن حسن حظ الشعر الجاهلي أن الإسلام - بما يمثل من قيم أتاح له فرصة ذهبية للتجديد ، حيث أتاح للشخصية الفردية استقلالها



وحررها من داخلها ، وارتقى بها عن الارتكاس في المادة ، وجعلها تستشرف آفاقاً روحية فسيحة وسامية ،<sup>(١)</sup> ولأنها سوف تذكر تلك الأغراض حين نستعرض النماذج فلنترك تفصيلها الآن .

٦ — وآخر ما يستند إليه دعاة القوة والنماء في الشعر الإسلامي هو المطالبة بمنظرة نقدية جديدة إلى ذلك الشعر ، نظرة تتحرر من معايير الشعر الجاهلي ، وتنطلق من إसार جاذبيته ، نظرة تضع لنفسها مقاييس واعتبارات تلجح من هذا الشعر الذي يتحدث عنه ، ولا تقيسه باعتبارات شعر آخر سبقه ، أيأ ما كانت قيمة ذلك الشعر وروعته .

---

(١) قراءة في الشعر الإسلامي والأموي : ص ١٥

خامسا : نماذج من الشعر الإسلامى

على الرغم من أن الصراع المساح والصراع الشعري ، لم يتفجر  
إلا بعد هجرة الرسول المصطفى ومن آمن معه إلى المدينة ، على الرغم من  
ذلك إلا أن نفثات شعرية قليلة صدرت عن البعض ، ومنهم ما قاله  
« عثمان بن مظعون » وقد دفعه أذى ابن عمه - أمية بن خلف - إلى  
الفرار بدينه واللجوء للحبشة ، ومن هناك أرسل معاتباً على ما بدر  
منه محذراً لياه من عاقبة البغي (١) :

أيم بن عمرو للذي جاء بغضه

ومن دونه الشمران والبرك أكتع

أأخرجتنى من بطن مكة آمنا

وأسكنتنى في صرح بيضاء تقذع

وحاربت أقواما كراما أعزة

وأهلكت أقواما بهم كنت تفرع

ستعلم إن نابتك يوماً ملبة

وأهلك الأوباش ، ما كنت تصنع

كذلك تحفظ الكتب المؤرخة لتلك الفترة قصيدة نادرة ،

نظمها أحد مؤيدي قرأش - أبو قيس بن الاسات - وقد خاف مغبة

---

(١) تاريخ الشعر العربي ص ٢٩ . المهزلة للنداء ، تيم بن عمرو : هو

جحج - جد عثمان وأمية ، الشمر : الخليج أو البحر .

والشمران هما الخليجان بين اليمن والحبشة ، والبك اسم لواضع

منها اليمن ، أكتع : أجمع ، تقذع : تلام وتكفر . الأوباش : السفلة ،

ملبة : كارثة .

النزاع بينهم وبين الرسول ، فصحهم في هذه القصيدة أن يسمعوها  
لصوت الحكمة ، ويعالجوا الخلاف بوسائل السلم والجدل العقل<sup>(١)</sup> :

يا راكباً أما عرضت فباغن  
مغلغة عني ، أوى بن غالب  
وقل لهم — والله يحكم حكمه —  
ذروا الحرب تذهب عنكم في المراحب  
متى تبعثوها ، تبعثوها ذميمة  
هي الغول الأقسى ، أر الأقارب  
تقطع أرحاماً ونهلك أمة  
وترى السديف من سنام وغارب  
وتستبدلوا بالأتحمية بعدهما  
شليلاً وأصداء ثياب المحارب<sup>(٢)</sup>

---

(١) المرجع السابق : ص ٢٩/٣٠ ، مغلطة : رسالة ، المراحب :  
جمع مرحب وهو المكان الواسع ، السديف : لحم السفام ، الغارب :  
السكاهل .

(٢) الأتحمية : ثياب يمنية فاخرة ، الشليل : ما يلبد تحت  
الدرع ، الأصداء : الدروع الصدئة ، الغبر السوابغ : الدروع ،  
القتير : مسامير الدروع ، الجنادب : الحراد .

وبالمسك والكافور غبراً سواها  
كأن قنبرها ، عيون الجنادب

ولكن ، ما إن يهاجر الرسول الكريم والمسلمون إلى  
المدينة ، حتى يبدأ الصدام بين معسكر الإيمان والنوحيد فيها ، وبين  
معسكر الكفر والشرك في مكة ، وكان الصدام في ميدان القتال أولاً ،  
ثم نقلته قريش إلى ساحة الشعر ، حين تطاول بعض شمرائها بالقول  
على الرسول ﷺ والمسلمين ، وحينذاك استأذن حسان بن ثابت من  
الرسول في الرد عليهم ، وقيل بل ضاق المسلمون بهجاء المشركين  
فطالبوا من علي - كرم الله وجهه - أن يدفع عنهم سهامهم ، لكن  
علياً اعتذر - أو اعتذر عنه الرسول - وطلب المصطفى عليه السلام  
من الأنصار أن يمشيخوا إلى أفئدتهم فضلاً جديداً فيفكروا الإسلام  
باللسان كما نصره باللسان ، وبدأ « حسان بن ثابت » ثم انضم إليه  
عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك ، .

وإن كان الشعر الإسلامي قد بدأ في أول أمره رداً من شغراء  
الأنصار على المشركين بأغراض محددة ، وفي مناسبات خاصة ، إلا  
أنه فيما بعد ، ولا سيما حين فتحت مكة وعم الإسلام جزيرة العرب ،  
اتسعت نطاقه وتعددت مجالاته ، وكانت الفتوح الإسلامية خارج  
الجزيرة بمثابة فتوح شعرية عظيمة الأثر واسعة الأرجاء .

ولنستعرض الآن نماذج من الشعر الإسلامي - دون التعرض لغير المسلمين - حتى يتسنى لها الاطلاع على هذه الصفحات الوضيئة من تاريخ الشعر الإسلامي ، وتحرّى الحقيقة في مستوى ذلك الشعر : من ضعف أوقوة ، وازدهار أو خمول . ورأيي - تظيها لهذا الحكم من الشعر أن أعرضه بحسب الأغراض أو الموضوعات ، وبذا يأتي العرض شاملا من الناحية الزمنية لعصر الرسول ﷺ ، ثم خلفائه الراشدين ، على أن النتابع التاريخي سوف يتحقق ضمنا حينما نبدأ بالأغراض الإسلامية المبكرة ، مثل مدح النبي الكريم ، وهجاء المشركين ، وثناء الشهداء في معارك مكة والمدينة ، وتهديد المشركين واليهود بما أعد المسلمون لهم ، والفخر بالانتصارات الإسلامية .

وتأتي بعد ذلك أغراض جدت في شعر الفتوح : كالحنين والاغتراب ووصف البلاد الجديدة وشعوبها ... وهكذا .

١ - مدح الرسول صلى الله عليه وسلم : يعد مدح النبي ﷺ والاشادة به في مقدمة الأغراض المستحدثة والمجالات الجديدة للشعر العربي ، فعندما أشرق فجر الإيمان كان الرسول المصطفى هو المبالغ لهذه الرسالة السماوية ؛ وكان نبراسا وهاويا ، ومثلا وقبوة ، ومبشرا ونذيرا ورحمة مهداة ، وكان مدحه غير المدح الذي عرفه الشعر في جاهليته للسادة والملوك ، امتعاضا للمال أو طلبا للشهرة والمجد الأدبي ، فيحشد الصفات المعهودة في مبالغته وتضخيمه ، وقد يقول غير الحق ، وقد يمدح بما لم يوجد ، بل كان مدحه - صلوات الله عليه جهادا في

سبيل الله وقربي إليه سبحانه ، كان دفاعاً عن الدين وتثبيتاً له ، كان اقتباساً من هذا النور واهتداء به ، ومن هنا فقد كانت القصائد المخصصة لهذا الغرض كثيرة عديدة ، وكانت القصائد التي نظمها أصلاً لأغراض أخرى ، ثم حاول أن تشرف بأبيات في مدحه تتناثر خلالها كالمبقى الشذى ، وإذا كان الاختيار صعباً - في هذا الحكم - بين القصائد والأبيات ، إلا أننا حرصاً على الإيجاز ، نكتفي بأبيات من قصائد مجرد الدلالة والتشيل .

• يقول الأعشى الكبير من قصيده تبلغ أربعة وعشرين بيتاً (١) :  
ألا أيها السائل : أين يعمت

فإن لها في أهل يثرب موعدا  
فأليس لا أرى لها من كلاله  
ولا من حنى ، حتى تلاقى محمداً  
نبي يرى ما لا ترون ، وذكره  
أغار - لعمري - في البلاد وأنجدنا  
له صدقات ما تعب ، ونائل  
وليس عطاء اليوم مانعه غدا  
أجرك : لم تسمح وصاة محمد  
فبى الإله ، حين أوصى وأشهد

---

(١) ديوان الأعشى الكبير ، تحقيق د . محمد حسين ص ١٣٥

إذا أنت لم ترحل بزاد من النقي  
 ولا قيت بعد الموت من قد تزودا  
 ندمت على أن لا تكون كمثله  
 وأنت لم ترصد ، لما كان أرصدا  
 • ويقول عبد الله بن رواحة (١) :  
 لاني تفرست فيك الخير أعرفه  
 والله يعلم أما خافني البصر  
 أنت النبي ، ومن يحرم شفاعته  
 يوم الحساب ، لقد أزرى به القدر  
 فثبت الله ما آتاك من حسن  
 تثبت موسى ، ونصر آكالذي نصروا

• وعبد الله ابن الزبير الذي تناول على النبي بالهجاء سنوات  
 وهو مشرك ، أصبح شديد الندم على ما قدم حين هداه الله فتاب واعتذر  
 بقصائد عديدة ومدح الرسول مرات كثر منها :

---

(١) شعر عصر صدر الإسلام ص ٩



يا خير من حملت على أوصالها  
عيرانة سرج اليزيدى رسوم  
لانى لمعتذر إليك من الذى  
أسديت ، لاذ أنا فى الظلام أهيم  
فأغفر ، فدعى لك والدائى كلاهما  
زلى ، فإنك راحم مرحوم  
وعليك من سميت المليك علامة  
نور أغر ، وخاتم مختوم  
أعطاك بعد محبة برهانه  
شرفاً ، وبرهان الإله عظيم (١)  
ومن شعر العباس بن مرداس قوله مشنفاً على النبى (٢) :  
رأيتك يا خير البرية كلها  
نثرت كتاباً جاء بالحق معلماً  
ونورت بالبرهان أمراً مدسماً  
وأطفأت بالبرهان ناراً مضرماً

---

(١) المرجع السابق ص ٧٥ . عيرانة : ناقة أصيلة ، : سرج : لينة  
رسوم : ثابتة الخطوة ، سميت : دلائل وظواهر .

(٢) المرجع نفسه ص ٧٧

فن مبلغ عن النبي محمدا

وكل امرئ يحزى بما قد تكلم

• يقول «حسان» - شاعر الرسول - في إحدى رواياته التي تعد  
رداً مفصلاً على القائمين بهذا الشعر الإسلامي (١) :

أغر ، عليه للنبوة خاتم

من الله مشهود ، يلوح ويشهد

وضم الإله اسم النبي إلى اسمه

إذا قال في الجنس المؤذن : أشهد

وشق له من اسمه ليجهله

فقدو العرش محمود ، وهذا محمد

نبي أتانا بعد يأس وفترة

من الرسل ، والأوثان في الأرض تبعده

فأمسى سراجاً مستنيراً وهادياً

يلوح كما لآخ الصقيل الممعد

واندرونا ناراً وبشر جنة

وعلمنا الإسلام ، قاله محمد

---

(١) الأدب في عصر النبوة والراشدين ص ٢٤٨

ويقول في هزيمته التي دعا له الرسول بالجبهة مرتين من أجلها (١)  
وفيها يندر قريشاً ويرد على أبي سفيان :

هجوت محمدا فأجبتُ عنه

وعند الله في ذاك الجواز

فإن أبي ووالده وعِرضي

أعرض محمد منكم وقاء

أتهجوه ولست له بكم

فشركا لخيركما الفداء

هجوت مباركاً برا حنيفاً

أمين الله شيعته الوفاء

٢ — تمجيد الدعوة الإسلامية ومدح المسلمين الأوائل :

لا ريب أن المسلمين الأوائل — مهاجرين وأنصاراً — أصحاب  
العزيمة والارادة ، الذين واجهوا الشرك وهو في أوج قوته ،  
وعنفوان جبروته ، لا شك أنهم أصحاب الفضل الجديرون بالثناء والإشادة  
فقد حملوا — مهاجرين وأنصاراً — عبء الجهاد في سبيل إعلاء كلمة  
الحق ونصرة الدين ، ولم يقصّر الشغراء المسلمون في هذا المجال ،

(١) المرجع السابق ص ٢٥٣

فلا تكاد تخلو قصيدة إسلامية على عهد الرسول والراشدين من أبيات  
تمجد الانصار أو المهاجرين أو كليهما معاً ، وتشيد بدورهم البطولي  
في قهر الدعوة ومؤازرة النبي ، ثم تمجد الإسلام وما أقره الله به على  
العرب من نعمة الهداية وفضل الرشاد ، ها هو كعب بن زهير في  
موقف الاعتذار والتوبة ، يذكر للمهاجرين فضائلهم ويمجدهم (١) :

في عصابة من قريش قال قائدهم

بيطان مكة ، لما أسلوا : زولوا

زالوا فما زال أنكاس ولا كشف

عند اللقاء ، ولا ميل معاذيل

مشم المرانين أبطال ، لبوسهم

من نسج داوود ، في الهيजा سراويل

يمشون مشى الجبال الزهر يعصمهم

ضرب إذا ورد السود النناويل

لا يفرحون إذا نالت رماحهم

قوما ، وليسوا مجازيماً إذا نيلوا

لا يقع الطمن إلا في نحورهم

وما إن لهم من حياض الموت تهايل

---

(١) شرح هانت سعاد : ص ٨٦

ثم يستدرك في قصيدة أخرى ما فاتته من مدح الأنصار ، ولحم  
فضل النصر والمؤاخاة والإيثار على أنفسهم (١) :

من سرّه كرم الحياة فلم يزل  
في مقنّب من صالح الأنصار  
ورثوا المكارم كابراً عن كابر  
إن الخيار هم بنو الأخيار  
المكرهين السميرى بأذرع  
كسوالف الهندي ، خير قصار  
الباذلين نفوسهم لنبيهم  
يوم الهياج وسطوة الجبار  
يتطهرون كأنه نكسك لهم  
بدماء من علقوا من الكفار  
قوم إذا هوت النجوم فإنهم  
للطارقين النارلين مقار  
ويجمع حسان في مدحه بين الأنصار والمهاجرين ، فهم إخوة ،

---

(١) في الأدب الإسلامي والاموى ص ٣٥

يقول في رده على الزبركان بن بدر (١) :  
 إن الذوائب من فخر وإخوتهم  
 قد يبتغوا سنة للناس تتبع  
 قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم  
 أو حاولوا الذفع في أشياء عنهم نفخوا  
 إن كان في الناس سباقون قبلهم  
 فكل سبق لأدنى متبعهم تبع  
 أعف ذكرك في الوحي عفتهم  
 لا يبتغون ، ولا يريدون الطمع  
 أعطوا نبي الهدى والبر طاعتهم  
 فما وني نصرهم عنه ، وما نزعوا  
 إن قال : سيروا أجدوا السير جهدهم  
 أو قال : هوجوا غلبنا ساعة ، رعبوا  
 أكرم بقوم رسول الله قائدهم  
 إذا تفرقت الأهواء والشيع  
 فإنهم أفضل الأحياء كلهم  
 إن جدد بالناس جدال القول ، أو سمعوا

---

(٢) ديوان حسان ص ٢٣٨

٣ — هجاء المشركين رداً على هجائهم : تجاهل المسلمون هجاء  
المشركين أول الأمر ، فلما تمادوا ، وصار السكوت عنهم قد يفسر بالهجوم  
عن إخطائهم ، تصدى لهم شعراء الأنصار ، يقول حسان رداً على  
أبي سفيان حين هجا النبي (١) :

أبلغ أبا سفيان أن محمداً

هو الغصن ذو الأذنن ، لا الواحد الوحد

وأبلغ أبا سفيان عنى رسالة

فما لك من إصدار عزم ، ولا ورد

وأن سقام المجد من آل هاشم

بنو ابنة مخزوم ، والدك العبد

وما ولدت أفتاء زهرة منكم

كريماً ، ولم يقرب عجائزك المجد

وكنيت دعياً نيط في آل هاشم

كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وأن امراً كانت سمية أمه

وسمراء ، مغلوب إذا باخ الجهد

وهو هجاء بالنسب ، أفاد فيه حسان من مثالب عرقه لإيادها

---

(١) الديوان ص ١١٨

أبو بكر ، كما نصحه الرسول ، فكان ذلك موجعا لقريش .  
ولحسن أيضا مزية رائدة في الرد على أبي سفيان ، وهي التي  
دعا له الرسول بالجنة مرتين حين سمع أبياتها ، وفيها أنهف بيت قائده  
العرب (١) :

ألا أبلغ أبا سفيان عفى  
فأنت بحرف نخب هـواء  
هجوت محمدا فأجبت عنه  
وعند الله في ذلك الجواز  
أتهجره واست له بكف  
فشركا لحيدركا الفداء  
فإما تشقن بنو لوى  
جذيمة ، إن قتاهم شفاء  
وفي هجاء قريش يقول عبد الله بن الحارث بن عدي (٢) :  
واتلك قريش تجحد الله حقه  
كما جحدت عاد ومدين والحجر  
فإن أنا لم أبرق فلا يسمنى  
من الأرض بر ذو فضاء ولا بحر

---

(١) ديوان حسان ص ٧١ (٢) نظرات في الشعر الإسلامي ص ٣٢



بأرض بها عبد الإله محمد

أبلغ ما في النفس إذ بلغ النقر

( ٤ ) حرب نفسية ضد المشركين : عرف في الجاهلية وصدر

الإسلام مصطلح "يُقتل عنه أو عنهم" ، وقصد به ما يعرف حديثاً  
بالحرب النفسية أو الباردة ، كانت الشعاع يرسل في أبياتة نوعاً من  
التهديد والإنذار ، حين يبالغ في وصف القوة والاستعداد حتى يخيف  
الاعداء فيتراجعون عن الحرب ، يقول معبد الخزاعي يخوف أباسقيان  
ابن حرب ، ويخذه عن الرسول :

كادت تهد من الأصوات راحلي

لذسالت الأرض بالجرء الأباييل (١)

تردى بأسد كرام لا تنابله

عند اللقاء ، ولا ميل معازيل

فظلمت أعدواظن الأرض مائلة

لما سموا برئيس خير مخفول

---

(١) الأدب في عصر النبوة والراشدين : ص ٢٥٩ ، الجرد : الخيل ،

الأباييل : الجماعات ، تردى : تسرع ، تنابله : قصار ، ميل : بغير  
رماح ، معازيل : جهنماء ، تغطمط : اهتزت .

فقلت ويل ابن حرب من لقائكم  
 إذا تغططت البطحاء بالخيل (١)  
 من جيش أحد لا وخش تنابلة  
 وليس يوصف ما أُنذرت بالقيل  
 • ويقول شداد بن عارض الجشمي يخوف أهل الطائف: (٢)  
 لا تنصروا اللات إن الله مهابكم  
 وكيف نصركم من ليس ينتصر  
 تلك التي حرقت بالنار فاشتعلت  
 ولم يقاتل لدى أحجارها هدر  
 إن الرسول متى ينزل بساحتكم  
 يظمن ، وليس بها من أهلكها بشر  
 • وكعب بن مالك يذكر بدرأ ويهدد المشركين: (٣)  
 رسول الله يقدمنا بأمر  
 من أمر الله أحكم بالقضاء  
 فما ظفرت فوارسكم بيذر  
 وما رجعوا إليكم بالسواء

(١) تغططت: اهتزت وخش: السفلة الرعاع ، القويل: القول ،  
 أى: ليس وصفي خيالا .

(٢) المرجع السابق: ص ٢٥٧ (٣) نفسه: ٢٥١

فلا تهجل أبا مصفيات وارقب  
جديد الخيل تطالع من كداء  
بفهم الله ، روح القدس فيها  
وميكال ، فيا طيب اللقاء  
ومن أقوى ما قاله حسان في تهديد قريش وتخوينها أبياته  
في الحمزية قبيل فتح مكة: (١)

علمنا خيلنا إن لم تروها  
تثير النقع ، موعدها كداء  
يبارين الأسنة مصفيات  
على أكنافها الأسل الظماء  
تظل جسادنا متمطرات  
تلطمهن بالخز النساء  
فأما تعرضوا عنا اعتمرنا  
وكان الفتح وانكشف الغطاء  
وللا فاصبروا لجلاد يوم  
يعين الله فيه من يشاء

---

(١) الديوان : ص ٧٣ ، مصفيات : منحرفات للظعن ، الأسل :  
الرماح ، متمطرات : تخرج عن الجماعة لسرعتها ، تلطمهن بالخز :  
يضربن الخيل بنخمهن لردّها .

وقال الله قد يسرتُ جنودا  
هم الانصار عرضتها اللقاء  
لنا في كل يوم من معد  
قتال أو سباب أو هجاء  
فمنحكم بالقواني من هجانا  
ويفضرب حين تختلط الدماء

(هـ) وصف الممارك والسلاج وبلاء المجاهدين : لم تكن الممارك التي خاضها المسلمون - خاصة في الفتوحات على نفس المستوى المحدود البسيط الذي كانت عليه ممارك الجاهلية ، وإنما تنوعت الأسلحة وكثرت العدد والآلات ، ومع ذلك ظل المقاتل المسلم على فروسيته وشجاعته وإقدامه ، فما أزهيته كثرة الجيوش ، ولا أفزعته الأسلحة التي لم يعمدها ، وظل الشجعان على عهده في متابعة الأحداث ، فوصف الممارك بدقة متناهية وذكر الأسلحة لدى الأعداء ، ولدى المسلمين ، وتجهيزاتهم ، بدءا من ممارك الإسلام الأولى إلى الفتوحات ، وحتى فتنة عثمان ، يقول كعب بن مالك رداً على هبيرة بن وهب (١) :

فجالد لا تبقي علينا قبيلة  
من الناس إلا أن يهابوا ويفظعوا

---

(١) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي : ص ١٩٢

وفينا رسول الله نتبع أمره  
إذا قال فينا القول ، لا تطلع  
نشاورة فيما نريد ، وقصرنا  
إذا ما اشتهى أنا نطيع ونسمع  
وقال رسول الله لما بدوا لنا :  
ذروا عنكم هول المنيات واطمئنا  
وكونوا كن يثري الحياة تقربا (١)  
إلى ملك يحيا لديه ويرجع  
فسرنا إليهم جهرة في رحا لهم  
ضحيا ، عاينا البيض لا تنشع  
ملومة فيها السُّنُور والقنا  
إذا ضربوا أقدامها لا تورع  
لجئنا إلى موج من البحر وسطه  
أحايش منهم حاسر ومقنع

---

(١) يثري : يبيع ، ضحيا : تصغير ضحى ، للبيض : يفتح الباب ،  
السيوف ، وبكمرها : الخوذ ، تنشع : تضعف ، ملومة : كتيبة ،  
السُّنُور : لباس كالدرع ، تورع : تكف . أحايش : نسبة إلى جبل  
حبشى ، وهم القوشيون ، نصية : أشراف مختارون .

ثلاثة آلاف ونحو نصية

ثلاث مشين إن كثرتنا وأربع (١)

نفاورهم ، تهرى المنية بيننا

نشارعهم حوض الغايا ونشرع

تهادى قسى النبع فينا وفيهم

وما هو إلا اليتربى المنقطع

ونخيل تراها بالفضاء كأنها

جراد صبا في قرة يتربع

فلما تلاقينا ودارت بنا الرحي

وليس لأمر حمه الله مدفع

خربناهم حتى تركنا سرائهم

كأنهم بالقاع خشب مصرع

وراحوا سراعا موجفين كأنهم

جهام هراقت ماءه الريح مقلع

ورحنا وأخرانا بطاء كأننا

أسود على لحم بليشة ظلم

(١) نفاورهم : نغير عليهم ، نشارعهم : نشاربهم ، النبع : شجر

تصنع منه القسي . اليتربى : أرتار من يثرب ، صبا : ربح شرقية باردة .

قرة : برد ، يتربع : يجيئ ويذهب ، مصرع : مطروح على الأرض ،

موجفين : مسرعين ، جهام : سحاب . هراقت : أفرغت . بليشة :

موضع . ظلم : ثميل الخطر .

ونحن أناس لا نرى القتل سبة  
على كل من يحمى الزمار ويمنع

شددنا بحول الله والنصر شدة  
عليكم ، وأطراف الأسنة شرع  
عمدنا إلى أهل اللواء ، ومن يطر  
بذكر اللواء فهو في الحمد أسرع  
فحانوا وقد أعطوا يداً واتخاذوا (١)

أبى الله إلا أمره ، وهو أصنع  
وفي أبياته التالية ، يضيف دكعب ، إلى ما عرف من أسلحة مادية  
سلاحاً معنوية جديدة أمد به الإسلام رجالاته ، هو سلاح التقوى ،  
حين يبيع المجاهد نفسه إلى ربه كي ينصر دين الله ، يقول في موقعة  
الحندين (٢) :

دربوا بضرب المعلنين فأسلموا  
مهجات أنفسهم لرب المشرق  
في عصبية نصر الإله نديه  
٣٢ ، وكان بعبد ذاً مرفق

- 
- (١) حانوا : ماتوا وهي من الحين ، أعطوا يداً : استسلموا .  
(٢) شعر عصر صدر الإسلام : ص ٦٠ ، دربوا : من التدريس .  
المعلمين : المتميزين . سابعة : دروع كاملة . النهم الغدير . المتفرق :  
الرائق السيل .

في كل سابعة تخط فصولها  
 كأنهى هبت ريحه المترق  
 فصل السيوف إذا قصرن يخطونا  
 قدما ولاحقها إذا لم تلاحق  
 فترى الجاهل ضاحيا هامام<sup>(١)</sup>  
 بلمته الأكف كأنها لم تخلق  
 و"نريد" الأعداء كل مقاص  
 ورد ، ومحجول القوائم أبلق  
 تردى بفروسان كأن كاتم  
 عهد الهياج أسود طل ملحق  
 أسر الإله يربطها لعدوه  
 في الحرب ، إن الله خير موفق  
 لتكرن غيظا للعدو وحبيطا  
 للدار ، إن دلفت خيول النزق

---

(١) ضاحيا : راضحاً ظاهراً . بلة : وكذلك ، مقاص : جواد طريق  
 القوائم . ورد : أشقر . محجول : في قوائمه بياض . تردى : تسرع .  
 ملحق : ذلق وطين من الطل .  
 ميطا : حماية وإحاطة .



ويحيينا الله العزيز بقوة  
منه ، وصديق الصبر ساعة نلتقى  
ونطيع أمر نبيينا ونجيبه  
وإذا دعا لكرامة ، لم نسبق  
وفي يوم القيامة — إحدى معارك الردة — على عهد دأبى بكر  
الصديق ، يصف دضرار بن الأزور ، لقاء المسلمين باتباع سجاج  
بذئ الحارث ومسيامة الكذاب : (١)

ولو سألت عنا جنوب لآخبرت  
عشية سالت عقرها وملمم  
وسال بفروع الواد حتى تترقت  
حجارتها فيها من القوم الدم  
عشية لا تنفى الرماح مكانها  
ولا النبل ، إلا المشرق المصمم  
فإن تبتغى الكفار غير مليمة  
جنوب ، فإنى تابع الدين مسلم  
أجاهد إذ كان الجهاد غنيمة  
ولله بالمرء المجاهد أهل

---

(١) نظرات في الشعر الاسلامي والأدبي : ص ١٤٤

ولم يفهم الشاعر المسلم أن يشير إلى الفيلة التي يقدمها الفرس أمام  
الجيش فتفزع الخيول ، في القادسية حضر عدد كبير من الشعراء  
ومنهم ربيعة بن مقروم الضبي : (١) الذي ذكر الجاحظ أبياته عن  
الفيل في كتاب الحيوان ، يقول :

ودعوا نزال فكانت أول نازل

وعلام أركبه إذا لم أنزل

ودخلت أبنية الملوك عليهم

ولشر قول المرء ما لم يفعل

وشهدت معركة الفيل وحولها

أبناء فارس بيضاء كالأبل (٢)

متسربلي حاق الحديد كأنهم

جرب مقارفة هنية مهمل

وفي نفس المعركة — القادسية — لا يكتفى الشاعر قيس بن  
المكشوح المرادي ، الذي قتل « رستم » قائد الفرس ، لا يكتفى بوصف  
المعركة وإنما يبدأ من أول الرحلة (٣) :

(١) المرجع السابق : ص ٥٨ - كذلك : العصر الإسلامي : ص ٦٤

(٢) البيض : الخوذ ، الأبل : حمار أبيض ، جرب : إبل مصابة

بالجرب ، مقارفة : مريضة بالقرص ، وهو داء يقتل الإبل ، هنية :

طلاء للجرب ، مهمل : الذي يهمل الإبل .

(٣) العصر الإسلامي : ص ٦٣ . تودي : تسرع .

جاءت الخيل من صنعاء تردى  
بكل مدجج كاليث سامى  
إلى وادى القرى فديار كلب  
إلى اليرموك فالبلد الشامى  
وجئنا القادسية بعد شهر  
مسومة ، دوابرها دوامى (١)  
فناهضنا هتالك جمع كسرى  
وأبناء المرازبة الكرام  
فلما أن رأيت الخيل جالت  
قصدت لموقف الملك الهمام  
فأضرب رأسه فهوى صريماً  
بسيف لا أفل ولا كهام

٦ — الإقدام على الجهاد والفرج بالشهادة : لم يسكن حرص  
المسلمين على التسابق للجهاد والاشتراك فى كل الممارك دافعه تحقيق  
النصر على الأعداء فخصب ، وإنما لاحت أمامهم أهداف عدة ، جميعها

---

(١) مسومة : بها علامة ، دوابر : عراقيب ، دوامى : ماطخة  
بالدم ، المرازبة : رؤساء الفرس ، أفل ، مثل ، كهام : كليل .

تتصف بالسمو والهبالة ، فذشر دين الله ، والإطاحة بعروش الكفر  
والشرك ، هي الغاية القصوى ، ولتسليما يسمى المجاهد إلى النصر ،  
لا يمنعه من ذلك حرص على الحياة ، لأن من خاياته أيضا الفوز  
بالشهادة ، وهل أعل مقاماً من جنة الخلد يقيم بها الشهداء أحياء عند  
ربهم يرزقون ، من هنا كان تراهم على الذهاب للمعركة ، وألم من  
تمنعه حوائل عن الاشتراك ، ومن هنا كان فرحهم بالشهادة وطلبهم  
إياها ، وكان رضاهم بكل ما يلاقون في الميدان من أعدائهم ، أرسل  
النبي ﷺ وفدا لبعض القبائل ليفقهوهم في الدين ، لكنهم غدروا  
بالوفد ، وأعدوا له صاب رئيسه وهو : نخيب بن عدي ، فقال : (١)

إلى الله أشكو قربى ثم كربى

وما أرصد لأحزاب لي عهد مصرعى

فذا العرش صبرنى هلى ما يراد بى

فقد بضغوا لى وقد ياس مطمعى

وقد خيرونى الكفر ، والموت دونه

وقد همت عيناى من غير مجوع

فوالله ما أرجو إذا مت مسلما

على أى جنب كان فى الله مصرعى

---

(١) الأدب فى عصر النبوة والراشدين ص ٣٤٠

ولست بمجد للعدو تنضمنا

ولا جزعا ، إني إلى الله مرجعي

واستمع إلى « بشر بن ربيعة الخثعمي » يصور تسابق المجاهدين ،  
وقد تمنوا لو أن لهم أجنحة فيطرون إلى الميدان (١) :

تذكر - هداك الله - وقع سيوفنا

بباب قديس ، والمسكر عسير

عشية ودّ القوم لو أن بعضهم

يمار جناحي طائر فيطير

إذا ما فرغنا من قراع كتيبة

دلفنا لأخرى كالجبال تسير

ويشبهه « البريق بن عياض الطنلي » نفسه بالجدي الكبير المروط

في موضعه لا حيلة له ، وكان كبر سنه قد منهه من مرافقة أبنائه إلى  
الميدان (٢) :

---

(١) المعصر الإسلامي ص ٦٣

(٢) السابق ص ٥٦ . أملاح : اسم مكان ، اليمر : الجدي الكبير ،

خلافهم : بهم . العتر : شجر له أوراق صغيرة .

أسائل عنهم كلما جاء راكب  
مقيما بأملاج كما ربط اليعر  
فما كنت أخشى أن أقيم خلافتهم  
بسته أبيات كما نبت العتر

ومن أعجب ما حدث في موقعة القادسية قصة دأب محسن النقي ، كان  
شرا أبا لهخمه حتى أقيم عليه الحدد مرات ، ثم حبسه سعد بن أبي وقاص ،  
بأمر الخليفة دحيم بن الخطاب ، وشببت معركة القادسية فاشتعل حماسا  
وهو الفارس المقدم ، ورجا دسعدا ، أن يطلقه ليسهم في شرف  
الجهاد ، لكنه أبى ، فاتجه لزوجته «سعد» وتبنى أن تطلقه يوما وتعيده  
فوسا تسمى البلقاء ولها عهد أن يرجع في النجر فيعود لعيده ، فأبت ،  
واستعطفها بأبيات حزينة تعبر عن ندمه ورغبته في التوبة : (١)

كفى حزنا أن ترتدى الخيل بالثقا  
وأترك مشدودا على وثاقيا  
حديسا عن الحرب العوان وقد بدت  
وأعمال غيري يوم ذاك العواليا  
ولله عهد ، لا أخيس بعهد  
لئن فرجت ، أن لا أزور الحوانيا

---

(١) نظرات في للشعر الاسلامي والاموي : ص ٥٦

فرقت له زوجة « سعد » وأطلقته ، فحمل على الأعداء ببسالة  
أدمشت المحاربين حتى ظنوه مملوكا ، وقال « سعد » : الطعن طعن أبي محجن  
والعدو عدو البلاء ، ولولا محبس أبي محجن لقلت : هذا أبو محجن  
وهذه البلاء ، . وانتهى القتال في منتصف الليل فعاد لقيده وهو  
يقول : (١)

لقد علمت ثقيف خير خير  
بأنا نحن أكرمهم سيوفا  
وأننا ردهم في كل يوم  
فإن جحدوا فسل بهم عريفا  
وليلة قارس لم يشعروا بي  
ولم أكره لخرجي الزحوا  
فإن أحبس فقد عرفوا بلائي  
وإن أطلق أجزعهم حتوفا

و « عبد الله بن رواحة » ، أحد فرسان الشعر الثلاثة في المدينة  
يتجهز لفزوة مؤتة ، ويدعو له مودعوه بالعودة سالما فيرد :

---

(١) نظرات في الشعر الإسلامي والأموي : ص ٥٦

لكنني أسأل الرحمن مغفرة  
 وضربة ذات فرغ تقذف الوبدا (١)  
 أو طعنة بيدي حران مجهزة  
 بحربة تنفذ الأحشاء والكبد  
 حتى يقال إذا مروا على جدثي  
 يا أرشد الله من غاز وقد رشدا  
 ويستغفره أمل المهادة ، فيجد فرسه بالراحة من الأسفار ،  
 فقد هزم على الرحلة الأخيرة إلى جنة الرضوان :  
 إذا أدبني وحام رحلي  
 مسيرة أربع بعد المساء  
 فشأنك أنعم وخلاك ذم  
 ولا أرجع إلى أهل ورائي  
 وجاء المسلمون وغادروني  
 بأرض الشام مشتبه الشواء  
 وفي المعركة استشهد حامل اللواء — زيد بن حارثة —

---

(١) شعر عصر صدر الإسلام : ص ٦٩ ، ذات فرغ : واسعة عميقة .  
 الوبد : الرغبة ، وهو يقصد دمه .



فجعله جعفر بن أبي طالب ، واستشهد فجعله عبد الله بن رواحة ،  
وانطلق يردد وهو يرى بعيشي قلبه منازل الشهداء في الجنة :

أقسمت يا نفس لتنزله  
لتتنزله أو لتكرهه  
قد طال ما قد كنت مطرئته  
جعفر ما أطيب ربيع الجنة

ويستجيب الله لرغبة القلب المؤمن القوي ، ويفوز بالشهادة ، لقد  
كان عدد الروم ضعف عدد المسلمين في ذلك اليوم خمسين مرة .

٧ — الفخر بتأييد الدين والانتصار لدعوة الإسلام : رغم أن

الفخر غرض شهري قديم ، لم يستحدثه الشعراء المسلمون ، إلا أن  
الإسلام قد أضفى عليه من السمات ما أكسبه جدة ، يجعله يخالف الفخر  
الجاهلي كل المخالفة ، لقد صار مناط الزهو إعلاء كلمة الله ، وموضع  
الفخر هو الذود عن الإسلام ، وشر النعمالي والاعتداد يكن في طاعة  
الرسول والاعتداد به ومناصرة ، ثم يأتي الفخر بالانتصار في القتال  
على أعداء الله ، ولم تخل بعض مواقف الفخر من ذكر الأكباء والأجداد ،  
ولسكنه يختلف عن ذكر الجاهلية ، إنه لا يفخر بهم من حيث الأصل  
والحسب والحسب والنسب ، وإنما بسبب أعمال بطولية كتماصرة الله  
ورسوله وحفظ الدين وحسن البلاء في الحرب . وأول ما كان من فخر

لإسلامي كان وهو الأنصار — بما قدموا من حماية للدين ، ولإيواء  
للمهاجرين ، وتأيد ونصر للنبي الكريم ، يقول حسان (١) :

منعنا بها خير البرية كلها  
إماما ووقرنا الكتاب المنزلا  
نصرنا وآوينا وقوم ضربنا  
— له — بالسيوف ، ميل من كان أميلا  
فإن يأمننا أو يلقمنا عن حنابة  
يجد عندنا مشوى كريما وموزلا

وما أكثر تفاخر حسان — وحق له الفخر — أليس من الأنصار ،  
أليس شاعر الرسول ؟ يقول تباها (٢) :

قومي الذين هم آووا نبيهم  
وصدقوه ، وأهل الأرض كفار  
إلا خصائص أقوام هم مضاف  
للمسلمين مع الأنصار أنصار  
مستبشرين بقسم الله ، قولهم  
لما أنعم كريم الأصل مختار

---

(١) ديوان حسان ص ٢٧٦ (٢) الديوان ص ٣٨٨

أهلاً وسهلاً ، ففى أمن وفى سعة  
نعم الفبى ونعم القسم والجار  
فأنزلوه بدار لا يخاف بها  
من كانت جارهم ، دارا هى الدار  
وقاسموا بها الاموال إذ قدموا  
مهاجرين ، وقسم الجاحد النار

ثم يأتى الفخر بالشجاعة والانتصار ؛ فى دنهاوند ، يقباضه  
د هرو بن زيد الخيل الطائى ، ويتمنى لو رآته زوجه بأهلا شجاعا  
فهيّاب رغم قوة العدو وبأسه (١):

ألا طرقت رحلى ، وقد نام صحبى  
بأيوان شيرين المزخرف ، خلقت  
ولو شهدت يومى (جلولاء) حربنا  
ويوم دنهاوند الممهل استمليت  
إذن لرات ضرب امرئ فخر خامل  
بجد بطعن أروع غير مصلت

---

(١) الأدب فى عصر النبوة والراشدين ص ٣١١

ولما دعوا : يا عروة بن مأمّل  
ضربت جموع الفرس حتى تولت  
وكم من عدو أشوس متعرد  
عليه بخيل — في الهياج — أظلت  
وكم كربة فرجتها وكريمة  
شدت لها أزدى إلى أن تولت

وكم في سجل البطولة الإسلامية من مجال للفخر والازدهار ، في  
« طاووس » — بأطراف فارس — يتعالى البطل بإخوانه الأبطال ،  
ويصفق الشعر للبسالة يقول د خاليد بن منذر ، (١) :

بطاووس ناهبنا الملوك وخيلنا  
عشية شمراك هلون الرراميا  
أطاحت جموع الفرس من رأس حائق  
تراه كوار السحاب مناغيا  
فلا يبعدن الله قوما تقاهوا  
فقد خضعوا يوم اللقاء العواليا

وفي ( واج روذ ) بهمنان ، ينكل المسلمون بقائد الفرس ( موتا ) ،

---

(١) المرجع نفسه ص ٣٠٧

ويتمزج الفخر بالنفس مع الفخر بالجماعة في شعر « نعيم بن مقرن » (١) :

ولما أتانا أن موتا ورهطه

بنى بإسـل ، جرّوا جنود الأماجم

نهمنا إليهم بالحديد كأنما

سـهـال تـراءت من فروع الغلاسم

صدمناهم في « واج روذ » بجمعنا

فداة رميناهم بإحدى العظام

فأ صبروا في حرمة الموت ساعة

لحدّ الرماح والسيوف الصوارم

أصبنا بها موتا ومن لف جمعه

وفيها نهاب قسمة غير حاتم

نعمناهم حتى أوا في شعابهم

نقتلهم قتل الكلاب الجواحم

ولا ضير من الفخر بالقبيلة ، والاعتزاز بالأصل ، وذكر الماضي

التليد ، ما دام الحاضر مشرفا ، وما دام عـمال الفخر محمودا ، ومناطق

الزهر جهادا في سبيل الله (٢) يقول نافع بن الأسود بن قنابة التميمي ،

يفخر ببلائه في القادسية ويتميم :

(١) المرجع السابق : ص ٣٠٨

(٢) نفس المرجع : ص ٣٩٤/٣٠٥

وقال القضاة من معد وغيرها  
تيممك أكفاء الملوك الأعظم  
هم أهل عز ثابت وأرومة  
وهم من معد في الذرا والغلاصم  
وهم يضمنون المال للجار ما نوى  
وهم يطعمون الفهر ضربة لازم  
وحين أتى الإسلام كانوا أئمة  
وبادوا معدا كلها بالجرائم  
إلى هجرة كانت صفاء ورفعة  
لباقية فيهم وخير مراغم  
فجاءت بهم ضمن للكتائب نصرة  
فكانوا حماة الناس عند العظام  
فصفتوا لأهل الشرك ثم تكبكبوا  
وطاروا طيهم بالسيوف الصوارم

(٨) الثناء : والثناء أيضا غرض قديم اكتسب في ظلال  
الإسلام ملامح جديدة ، وأهداه الشعراء المسلمون بروح متألفة ،  
حوّله إلى لون جديد عزيز ، يُعبد مفعلة للشعر العربي في تاريخه  
الحافل العريق .

ولم تقتصر الإضافات الإسلامية في شعر الرثاء على اللغة والأسلوب  
أو على المعاني والآفكار ، لقد شملت — نين المجالين ثم تجاوزتهما  
إلى المنطقتين — أو نقطة البدء — الذي يصدر عنه الشاعر في رثائه ،  
لم يعد الجرع المهلك ، والأسى المستبعد ، بل صار الصبر الجميل  
والاحتساب عند الله ، تحول الموت من فناء وانذار إلى مرحلة  
انتقال ، أصبح وسيلة لجوار إله كريم ، والوصول إلى جنة الخلد  
ونعيم المغفرة .

وبعد أن كان القتل في الحرب عارا لا بد من الشار فيه للقتيل ،  
أصبح استشهادا في سبيل الله يتسابق للفوز به جميع المجاهدين ، وكان  
لا بد لشعر الرثاء أن يتغير في العهد الإسلامي ليستوعب تلك المعاني  
السامية الرفيعة ، ومن هنا يمكن أن نعد الرثاء غرضا جديدا .

رثاء الرسول ﷺ : في تصوري أن وفاة الرسول الكريم  
كانت حدثا جللا ، من قلوب المسلمين وعقولهم ، كانت اختبارا ههرا  
وقفوا أمامه حيارى جزعين ، ولعل البعض ظل واقعا تحت تأثير  
الهلول أياما وشهورا ، ولذلك أصبح التعمير عن وقع الحدث في النفس  
صعبا ، وتصوير تأثيره على الوجدان شاقا ، وهكذا يمكن لنا تفسير  
قلة قصائد الرثاء التي صيغت بعد وفاته عليه السلام ، أو ضعف  
مستواها الفني ، ومع ذلك فهناك عدد منها على مستوى جيد .  
يقول حسان (١) :

(١) الديوان : ص ٢٠٧

آليت حلفة بر خير ذي دخل  
 وفي آية بر خير إفتاد  
 بالله ما حملت أنشى ولا وضعت  
 مثل النبي رسول الرحمة الهادي  
 ولا مشى فوق ظهر الأرض من أحد  
 أو في بذمة جار أو بميمار  
 من الذي كان نورا يستضاء به  
 مبارك الأمر ذا حزم وإرشاد  
 مصدقا للنبيين الال سلفوا  
 وأبذل الناس للمعروف للجادي  
 خير البرية لاني كنت في نهر  
 حار ، فأصبحت مثل المفرد الصادي  
 وفي « داليتة » الشافية يبدو حسان جازا هالعا ، قد حار ليه  
 وأوشك أن يغيب رشده ، وأظنهما من أوائل ما قاله في رثائه عليه السلام (١) :  
 جنبي يقيك التراب ، لفي ، ليتني  
 غيبت قبلك في بقيق الفرقـد

---

(١) الديوان ص ٢٠٨ ، غرقه : شجر صحراوي ذكي الرائحة



أقيم بعدك في المدينة بينهم  
 يا لطف نفسي ليتني لم أولد  
 أبى وأمى من شهدت وفاته  
 في يوم الاثنين ، النبي المهتدى  
 فظلمت بعد وفاته متلدا  
 يا ليتني صبحت سم الأسود  
 أو حل أمر الله فينا عاجلا  
 في راحة من يومنا أو في غد  
 فتقوم ساعتها فتلقي طيباً  
 محضاً ضرائبه كريم المحدث  
 نور أضواء على البرية كلها  
 من يهد للنور المبارك يهتد  
 صلى الإله ومن يحف بهرشه  
 والطيبون على المبارك أحمد

وله أبيات أخرى « رائية » وقصيدة « لامية » ، وأظننا لو تتبعنا  
 كل شعره واجدين الكثير ، ولكن تكفيها بعض الأمثلة .

وثام الشهداء : حين استشهد حمزة بن عبد المطلب - عم الرسول

• وكان ذلك بمؤامرة غادرة من هند بنت عتبة ، وثأه عدد كبير من أشقراء المسلمين ، فقد كان رضوان الله عليه حصناً للدين ، وسنداً للنبي ، وقوة للمسلمين ، كان يكسماه رسول الله : أسد الله ، ولذا عظمت الكارثة بفقدته واشتد الحزن ، إلا أن الروح المؤمنة ظلت هي الطابع المسيطر على ذلك الرثاء ، تقول أخته — صفية بنت عبد المطلب (١) :

دعاه إله الحق ذو العرش دعة  
إلى جنة يحيا بها وسرور  
فذلك ما كنا نرجى ونرتجى  
لحزة يوم الحشر حين مصير  
فوالله لا أنساك ما هبت العسا  
بكاء وجزنا محضرى ومسرى  
على أسد الله الذى كان مدرها  
يزود عن الإسلام كل كفور  
• ويقول دكعب بن مالك ، فى رثاء حزة ، (٢) :  
أصيب المسلمون به جميعا  
هناك وقد أصيب به الرسول

(١) الأدب فى عصر النبوة والراشدین ص ٢٦٢

(٢) المرجع نفسه ص ٢٦٢ ، ٢٦٤

عليك سلام ربك في جنات

مخالطها نعيم لا يزول

• وفي غزوة مؤتة استشهد عدد كبير من المجاهدين ، منهم دعيه الله  
ابن رواحة وجعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة ، فرائهم كعب  
ابن مالك (١) :

نام العيون ودمع عينك يهمل  
سحاكما وكف الطيبات المخضل  
في ليلة وردت على مهموما  
طورا أحسن وتارة أتململ  
وكأنما بين الجراح والحشا  
مما تأويفي شهاب مدخل  
وجدنا على النفر الذين تتابعوا  
يوما بمؤتة أسندوا لم يقلوا  
صلى الإله عليهم من فتيمة  
وسقى عظامهم الغمام المسبل

---

(١) الأدب في عصر النبوة والراشدين ص ٤٦٢

ولا ريب أن عظم المصائب في الشهداء ، حفز على رثاء الكثرين  
لهم ، لقد نظم حسان أكثر من قصيدة يرثيهم بها ، منها (١) :  
تاو بنى ليل يثرب أعسر  
وهم إذا ما نوم القوم مسهر  
لذكرى حبيب هيجت لي هجرة  
سفوحا ، وأصاب البكاء التذكر  
بلاء وفقدان الحبيب بلية  
وكم من كريم يبتلى ثم يصبر  
رأيت خيار المؤمنين تواردوا  
شعوب ، وقد خلقت فيمن يؤخر

غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم  
إلى الموت ميمون النقيبة أضر  
أفر كنصل السيف من آل هاشم  
أبي إذا سم الظلame يجسر  
فصار مع المستشهدين ثوابه  
جنان وملئت الحقائق أخضر

---

(١) الديوان ص ٢٢٣ ، شعوب : بفتح الشين : المنية .

وفي الغزوات المتلاحقة ، عبر الفتوح الإسلامية ، يسقط شهيداه  
محمولون ، فيرثهم الشعر ، في معركة جوزجان ببلاد فارس يذكر  
« ابن الغريزة النهشلي » شهيداه المسلمين (١) :

سقى مزن السحاب إذا استهلكت  
مصارح فتية بالجوزجان  
وما بي أن أكون جرعت إلا  
حنين القلب للبرق اليماني  
ورب أخ أصاب الموت قبلي  
بكيت ، ولو نعيم له بكاني  
دعاني دعوة والخيل تردى  
فما أدري : أباسمي أم كناني

وأحياناً يرثي الشاعر نفسه ، أو بعض نفسه ، لأنه قد يصاب  
في إحدى الممارك ، فيفقد عضواً من جسمه ، وبكل إيمان وتقوى يستقبل  
الامر في رضى ، ويحتسب ما ضاع منه عند الله ، يراه تضحية هينة  
في سبيل نصرته الدين ، وإعلام كلمة التوحيد ، « عبد الله بن سبرة  
الحلبى » وقد قطعت يده في معركة بارز فيها قائد الروم (٢) :

- 
- (١) نظرات في الشعر الإسلامى والأموى : ص ٦٢  
(٢) الأدب في عصر النبوة والراشدين ص ٣١٨ وأم جابر : كنهه

ويل دأم جار ، خداة الروح فارقي  
أهون على به إذ بان فاقطعا  
يمنى يدي فدت منى مفارقة  
لم أستطع يوم «فطاس» لها تبعها  
وما ضللت عليهما أن أصحابهما  
وقد حرصت على أن نستريح معا  
وقائل غاب عن شأني وقائلة  
هلا اجتنبت عدو الله إذ صرعا  
وكيف أنركه يسمى بمنصه  
نحوى وأعجز عنه بدم ما صنعا  
ما كان ذلك يوم الروح من خالق  
ولو تقارب منى الموت فاكنتما

يمشى إلى مستقيمات مثله بطل  
حتى إذا أمكننا سيقاهما قطعا  
الآن يمكن ، أرطبون ، الروم قطعا  
فإن فيهما بسم الله منتقما

بفانتين وجرموزا أقيم به (١)  
صدر القناة إذا ما آنسوا فزعا

٩ — الحنين والافتراب : رقد نشأ في رحاب الفتوح فرض  
شعري جديد ، هو الحنين إلى الأهل والوطن ، والإحساس  
بالغربة في البلاد التي سافروا إليها لفتحها ، أو التي أقاموا فيها بعد  
الفتح ليسوا قواعد الدين . ويحتموا ذماره ، وقد يكون الحنين من  
الأهل المقيمين في الوطن إلى ذويهم وأهناهم الذين سافروا للجهاد  
والغزو ، وكلاهما وجهان للحنين الذي كابده العرب لأول مرة ، فالعربي  
لم يتعود الأسفار البعيدة ، وحسب التجار الذين كانوا يسافرون لجلب  
البضائع ، كانت رحلاتهم معروفة مألوفة إلى مشارف الشام واليمن ،  
أما في الفتوح فقد شرقوا وغربوا وأيمنوا وأيسروا ، رحلوا إلى  
أقصى الأرض في كل اتجاه ، وربما قيل إن بكاء الاطلال كان لونا  
من الحنين إلى الديار بسبب الرحلة بحثا عن الماء والسكنا ، لكن الأمر  
جد مختلف ، فتنقل العربي داخل الجزيرة لا يشبه تنقله إلى بيئات  
شديدة الاختلاف والتباين ، وتفصلها عن وطنه آلاف الفراسخ ،  
وعند من البحار والأنهار .

كذا فإن بكاء الاطلال لم يلبث أن تحول إلى تقليد متكاف ، يخلو

---

(١) أم جار : السكف ، فطاس : مكان الموقعة ، اكتنعا : دنا  
وأحاط ، أرطبون : قائد الروم ، جرموز : طرف .

من الصدق ، وبفقد التجربة المعاناة ، بينما يصدر حين الشاعر  
الإسلامي عن غربة حقيقية ، وإحساس بالبعد المكاني والزمني .  
استمع إلى هذا الشاعر يستبد به الحنين فيتميل الخيام والمرابع ،  
ويدقق النظر ، وهو يعلم - يقينا - أن الرؤية مستحيلة ، لبعده المعافة  
وكثرة الحواجز ، ولكنه ينظر معاً بهذا (١) :

أكرر طرفي نحو نجد وانفي  
برغمي وإن لم يدرك الطرف أنظر  
حنينا إلى أرض كأن ترابها  
إذا أمطرت عود ومسك وعذير  
بلاد كأن الأفحوان بروضه  
ونور الأفاقي وشئ برد مجير  
أحن إلى أرض الهجاز وحاجتي  
خيام بنجد ، دونها الطرف يقصر  
وما نظري من نحو نجد بِنافع  
أجل لا ، ولكني إلى ذاك أنظر  
أفي كل يوم نظرة ثم عبرة  
لعينيك مجرى ماها يتحدر

---

(١) الأدب في عصر النبوة والراشدين : ص ٣١٣ ، لم يذكر اسم الشاعر



متى يستريح القلب : إما مجاوز  
 للحرب ، وإما نازح يتذكر  
 وتيسج فكري الحبيبة دموع شاعر آخر ، وقد يذعن من اللقاء ،  
 فيستروح الذنوب من ناحية الديار ، ويشكو غربة الروح بين قوم  
 لا يفهمون هذه ولا هو يفهمهم (١) :  
 أتيسكى على نجد وريتا ولن ترى  
 بعينيك ريا ما حبيت ولا نهجا  
 ولا مشرفا ما عشت أقفار وجرة  
 ولا واطئا من ترجم ثرى جفدا  
 ولا واجدا ربح الخزامى تسوقها  
 رياح الصبا تملو دكادك أو وهذا  
 تبدلات من ريا وسمارات بيتهما  
 قرى نبطيات يسميني مرها  
 ألا أيها البرق الذى بات يراتقى  
 ويجلو دجى الظلماء ، ذكرتنى نهجا

---

(١) المرجع السابق والصفحة .

وفي هذا المجال أيضا يبرز حنين آخر هو حنين الآباء والأهل في  
الوطن لأبنائهم وذويهم الفزاة ، إن الخيل السعدى يشترق ولده شيبان  
الذى خرج مع الجيش إلى فارس ويتذكر طفولته وسدبه عليه لى  
يهرك مشاعره (١):

أيها لى شيبان فى كل لىلة  
لقلبى من خوف الفراق وجيب  
أشيبان ما أدراك أن رب لىلة  
غبتك فىها والغبوق حبيب  
فإن يك مخصى أصبح اليوم زلوا  
وغصنك من ماء الشباب وطيب  
فإنى حنت ظموى خطوط تتابعت  
فشي ضعيف فى الرجال ديب  
وكذلك د أمية بن الأسكر ، ، يحن إلى ابنة د كلاب ، الذى  
وحل غازيا (٢):

أعاذل قد عدلت بغير قدر  
ولا تدري أعاذل ما ألقى

---

(١) نظرات فى الشعر الإسلامى والأموى ص ٤٨

(٢) تاريخ الشعر العربى ج ١ ص ٨٢

فأما كنت عاذلي فردى  
« كلابا ، إذ توجه للهرباق  
فى الفتيان أفى هسر ويسر  
شديد الركن فى يوم التلاقى  
فلا والله ما باليت وجهدى  
ولا شفقى عليك ولا اشتياقى  
وابقائى عليك إذا شئتونا  
وضحك تحت نحرى واعتناقى

ومن الحنين كذلك ما لم تفصح عنه الزوجة حياء وتعففا ، ولكن  
الزوج أشار إليه ، الفابغة الجعدى يقول لزوجته (١) :  
باتت تذكرنى بالله قاعدة  
والدمع ينهل من شأنيهما سبلا  
يا بنت عمى كتاب الله أخرجنى  
كرها ، وهل أمنعن الله ما فعلا  
ما كنت أعرج أو أعمى فيمذونى  
أو ضارعا من ضنى لم يستطع حولا

(١٠) وصف البلاد الجديدة : ومن الأغراض الجديدة في الشعر

الإسلامي ما نطرق إليه الشعراء من وصف البلاد التي رأوها  
في غزواتهم ، سواء من حيث طبيعتها أو مبانيها ومناظرها . فهذا  
« زياد بن مفضل » يصف الحير والخصوبة في الشام (١) :

وألقت إليه الشام أفلاذ بطنها  
وعيشا خصيبا ما تمل ما كاه

أباح لنا ما بين شرق ومغرب  
مواريث أعتاب بنتها قرامله  
وكم مثقل لم يضطاح باحتماله  
تحمل عبثا حين شالت شوائله

لكن « نافع بن الأسود بن قطبة » يفضل ريف الري لطيب  
عيشه (٢) :

رضينا بريف الري والري بلدة  
لها زينة من عيشها المنواتر  
لها نشور في كل آخر ليلة  
تذكر أعراس الملوك الأكار

---

(١ ، ٢) الأدب في عصر النبوة والراشدين ٣١٤/٣١٥

وتجذب كنائس الروم بمعمارها المهيّب وبنائها الضخم وما فيها  
من ذخارف فنية تجذب نظر حارثة بن النمر (١) :  
لله باليرموك قوم طمطحوا

أحساب عاتى الروم بالأقدام  
فتمطلت منهم كنائس زخرفت  
بالشمام ذات فسافس ورخام

وفى « مرو » يرى الشاعر منظرا طريفا فلا يملك نفسه من التعبير  
عنه في شعره ، إن بردها القارس ، وثلجها الذى يتساقط على أهلها قل  
دفنهم الاحتماء بثياب غليظة ودس أيديهم فى جيوبها فبدوا كالأسرى (٢) :  
وأرى بمر الشاهجان تنكرت

أرض تتابع ثلجها المذرور  
إذ لا توى ذا برة مشهودة  
إلا تخال كأنه مقرر  
كلتا يديه لا توأيل أوبه  
كل الشتاء ، كأنه مأسور

(١١) المعانى الإسلامية : كثيرة هي القيم الرفيعة والمعاني  
الإسلامية السامية التى جاء بها الدين الحنيف فتأثر بها الشعراء وراحوا  
يصوغونها شعرا ، ولو عرضنا نماذج اسكل معنى وقيمة ، لطلال بنة

(٢ ، ١) المرجع السابق : ص ٢١٥

المقام ، لكن تكفى أمثلة قليلة دالة ، يقول «حسان» في التوحيد  
والجنة (١) :

فأنت إله الخالق ربى وخالق  
بذلك ما عمرت فى الناس أشهد  
تعاليت رب الناس عن قول من دعا  
سواك إلهاً أنت أعلى وأجود  
لك الخلق والنعماء والأمر كله  
فإياك نستمدى وإياك نعبد  
لأن ثواب الله كل موحد  
جنان من الفردوس فيها يخلد  
وفى التقوى وبر الوالدين يقول «عبد بن الطبيب» موصياً  
بهنية (٢) :

أوصيكم بتقى الإله فإنه  
يعطى الرغائب من يشاء ويمنع  
ويبر والدم وطاعة أمره  
لأن الأبر من البنين الأطوع

---

(١) ديوان حسان : ص ٣٣٨

(٢) الأدب فى عصر النبوة : ص ٢٦٥

وفي التوبة والاستغفار يقول « المخبل السعدى ، وكان في هجائه  
للبرقان بن بدر قد تعرض لأخته خالدة كذبا (١) :  
لقد ضل حلى في خالدة ضلة  
سأعذب نفسى بعدها وأتوب  
وأشهد ، والمستغفر الله أنى  
كذبت عليها ، والهجاء كذوب  
الوفاء بالعهد : كعب بن زهير (٢) :

رحلت إلى قومي لأدعو جامهم  
إلى أمر حزم أحكمته الجوامع  
ليوفوا بما كانوا عليه تماقدوا  
بخيف منى ، والله راء ومسمع  
سأدعوهم جهدى إلى البر والتقى  
وأمر العلاء ما شايعتنى الأصابع  
وانظر إلى أى مدى تغافلتم قيم الإسلام ، حتى يتوب السكيت  
فادما مسنغفرا ، يقول أبو عجين الثقفى (٣) :

---

(١) المرجع السابق : ص ٣٣٨

(٢) الأدب في عصر النبوة والراشدين : ص ٢٣١

(٣) المرجع السابق : ص ٢٦٦

أتوب إلى الله الرحيم فإنه  
غفر الذنوب المرء ما لم يعاود  
ولست إلى الصبيان يوما بمائد  
ولا تابع قول السفينة المعاند  
وكيف وقد أعطيت ربي موثقا  
أعود لها ؟ والله ذو العرش شاهد

الفرار بدين الله وإبراء الضمير : د عبد الله بن الحارث بن قيس  
بين عدى ، وكان بين المهاجرين للعبشة في أول الدعوة (١) :  
يا راكبا بلغن عني مغفلة  
من كان يرجو بلاغ الله والدين  
كل امرئ من عباد الله مضطهد  
ببطن مكة مقهور ومفتون  
إنا وجدنا بلاد الله واسعة  
تنجى من الدل والنخوة والهنون  
فلا تقيموا على ذل الحياة ونحر  
ي في الممات وصيب غير مأمون

---

(١) نظرات في الشعر الإسلامي والأموي : ص ٣١



إنا تبغنا رسول الله ، وأطرحوا  
قول النبي وقالوا الموانين

وفي الصبر على المكاره والتوكل على الله نجد مثالا رائعا في شعر  
« عبد الله بن حذاف » وكان مع طائفة من المجاهدين فحاصروهم المرتدون  
في « جوثا » وأضرمهم الجوع فصبروا واحتسبوا (١) :

أبلغ أبا بكر رسولا  
وفتيان المدينة أجمعينا  
فهل لكم إلى قوم كرام  
قعود في جوثا محصرينا  
كأن دماءهم في كل فج  
شماع الشمس يغشى الناظرينا  
توكلنا على الرحمن إنا  
وجدنا الصبر الممكينا

وفي معنى التوكل أيضا والإيمان بالقدر ، وأن الله هو الرزاق  
نجد من شعر كعب بن زهير (٢) :

- 
- (١) نظرات في الشعر الإسلامي والاموي : ص ٤٥  
(٢) تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي : ص ٣٧

وأعلم أن متى ما يأتي قدرى  
فليس يحبس شح ولا شفق  
فلا تخاف علينا الفقر وانتظري  
فضل الغنى بالغنى من عنده نثق  
إن يفن ما عندنا فله يرزقنا  
ومن سوانا ، ولسنا نحن نرتزق

قول الحق ، ولو أمام الخليفة صاحب السلطان ، لقد فتح الله على  
المسلمين فاستولوا على أرمينية في عهد الخليفة عثمان بن عفان ، فأعطى  
الحبس لمروان بن الحكم ، وهو في ذلك يخالف نهج الرسول وخليفته :  
أبي بكر وعمر ، ويعلمو صوت الشعر منتقدا مدافعا عن الحق ، يقول  
عبد الرحمن بن الحنبل جليل الجاه ، للخليفة (١) :

أحلف بالله رب الأنام  
ما ترك الله شيئا مدي  
ولكن خلقت لنا فتنة  
لكي نبتلي بك أو تبتلي  
فإن الأمينين قد يلفا  
منار طريق عليه الهدى

---

(١) نظرات في الشعر الإسلامي والأموي : ص ٦٥

فما أخذنا درهما غيلة  
ولا جعلنا درهما في هوى  
وأعطيت مروان خمس البلاد  
فهيئات سميك من سمى

ويغتال عثمان ، ، وتعمد الخلافة د لعل ، — كرم الله وجهه —  
لكن للفتنة أطال بوجهها بمثلة في ممارضه قوية ضد على بقيادة أم المؤمنين  
عائشة وطلحة والزبير ، وتوزع ولاء المسلمين بين على وعائشة ، وفزع  
الشعر عما يتوقع من هدام مساح بين الطائفتين ، وما في ذلك من هلاك  
للأمة ودمار للدولة ، يقول مكعب بن جهميل التغلبي ، (١) :

أصبحت الأمة في أمر عجب  
والملك محمود غدا لمن ظب  
فقلت قولا صادقا غير كذب  
لأن غدا تهلك أعلام العرب

وفي معركة الجمل حيث خرجت أم المؤمنين على رأس الجيش رغم  
أن طلحة والزبير لم يحضرا لئلا يساهما فانتقد المسلمون ذلك ، وعبر عن  
رأيهم دجارية بن قدامة السعدي ، (٢) :

---

(١ ، ٢) المرجع السابق ص ٦٥/٦٦

صنتم حلالكم وقد تم أمكم  
هذا — لعمرك — قلة الإنصاف  
أمرت بحر ذبوا في بيتها  
فهوت تشق البيد بالإيجاف  
غوضا يقاتل دونها أبناؤها  
بالنبل والخطى والأسياف  
هتكت بطلحة والزبير ستورها  
هذا المخبر عنهما والكافي

ويحمل مقاتل من معسكر د علي ، رضى الله عنه — مصحفا داعيا  
للسلام ، إلا أن الجند التابعين لها نشة قتلوه فترثيه أمه وهى تدجب لأن  
أم المؤمنين ترى جماعتها تغفل فلا ترشدها (١) :

لاهم إلا مسلما دعاهم  
يتلو كتاب الله لا يخشاهم  
وأمرهم قائمة ، تراهم  
يأتهمون الغنى ، لا تنههم  
قد خضعت من علق لحامهم

ولا تمنع المنزلة الرفيعة لأم المؤمنين شاعرا مسلما من تنبيهها إلى

---

(١) المرجع السابق ص ١٨

ما في الحرب من مخاطر على المسلمين فيخطبها في إجلال (١) :

يا أمنا ، يا خير أم نعلم  
أما ترين كم شجاع يكلم  
وتحتل هامة والمعصم

وبعد مشاهد أليمة تنتهي موقعة الجمل ، لئبدأ وقائع فتنة أخرى  
أقسى وأشد هولاً ، إنها حروب « علي » رضي الله عنه لجند « معاوية »  
الذي نازعه الخلافة ، ويتفرق المسلمون شيعاً وأحزاباً ، ويلجأ  
« معاوية » إلى الإغراء ، لأنه يطلب من « أيمن بن خريم » قتال « علي »  
مقابل منحه فلسطين ، فيكتب إليه (٢) :

ولست مقاتلاً رجلاً يصلي

على سلطان آخر من قريش

له سلطانة وهي إثمى

معاذ الله من سفه وطيش

أقتل مسلماً في غير جرم

فليس بنافعي ما عشت عيشي

---

(١) المرجع السابق ص ٦٨

(٢) المرجع السابق ص ٧٠

(١٢) الغزل : آثرت ألا أنهي هذا العرض لنماذج من الشعر

الإسلامي دون الإشارة لبعض أمثلة من شعر الغزل الذي نظم في الإسلام — في عهد النبوة والرشد — وقد لا تعد هذه النماذج غزلاً بالمعنى المفهوم، إذ هي مطالع قصائد صيغت في أغراض أخرى، وهي بهذا الشكل مجرد متابعة لتقاليد شعرية جاهلية، كانت تروى من تمام الجودة والكمال في القصيدة أن تبدأ بالغزل أو الأطلال، ثم إن هذه النماذج الغزلية لم تخرج في ألفاظها ومعانيها وصورها عما تعودته الشعراء في الجاهلية، ذلك لقرب ناظميها من العهد الجاهلي زمنياً، ولأن الغزل عرض جاهلي قديم ولم يطرأ بعد — من قيم وتقاليد الشعر الإسلامي — ما يخلق عليه سمات جديدة أو يكسبه طابعاً خاصاً، فذلك سوف يحدث بعد سنوات قلائل، في عصر بني أمية.

إنما قصدت من تقديم هذه النماذج أن أثبت أن الإسلام ورسوله لم يكن يمنع القول في الغزل أو يرفض إنشاده وسماعه وروايته، ما دام في حدود العفة، لا يحوى لاشاء أو يفتكك حرمات، أو يحىء إلى عرض، أو يخذش حياء، يقول شاعر النبي — حسان بن ثابت — في مطلع قصيدته الحميرية التي نظمها قبيل فتح مكة ورد فيها على أبي سفيان يهجو ويتوعده، يقوله متغزلاً (١) :

هفت ذات الأصابع فالجواه

إلى هذراء منزلها خلاء

---

(١) الديوان : ص ٧١

ديار من بنى الحساس قفراً  
 تعفيمها الرواس والسماء  
 وكانت لا يزال بها أنيس  
 خلال مروجها ، نعم وشاء  
 فدع هذا ، ولكن ما لطيف  
 يورقني إذا ذهب المشاء  
 لشمشام التي قد تيمته  
 فليس لقلبه منها شفاء  
 كأن ضبيشة من بيت رأس  
 يكون مزاجها عسل وماء  
 على أنيابها ، أو طعم غض  
 من التفاح هصره لجناء  
 ولحسان أيضا في يوم أحمد يهجو ابن الزبيري (١) :  
 منع النور بالمشاء هموم  
 ونخيال إذا تنور النجوم  
 من حبيب أصاب قلبك منه  
 سقم ، فهو داخل مكتوم

(١ ، ٢) الديوان : ص ٢٠٦/٨١

يا لقوم هل يقتل المرء مثلي  
 واهن البطش والعظام سئوم  
 شأنها العطر والفراش ويعلموها  
 الجـين ولؤلؤ منظوم  
 لو يدب الحول من ولد الذر  
 عليها ، أفتبتها السكوم  
 ● ولحسان كذلك من قصيدة في الفتح (١) :  
 زادت همومي فناء العين ينحدر  
 سحبا إذا غرقته حبرة درر  
 وجدأ بشعشاء ، إذ شعشاء بهكتة  
 حوراء لا دنس فيها ولا خور  
 دع عنك شعشاء إذ كانت مودتها  
 نورا ، وشر وصاله الواصل النزر  
 ويطول بنا الأمر لو قمصينا كل المطالع الغزلية عند حسان ،  
 فلننقل لمثال آخر هذه كمب بن زهير (٢) :

- 
- (١) الديوان : ص ٢٠٦/٨١  
 (٢) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي : ص ٨٨



بانت سعاد فقلبي اليوم مقبول  
مقيم إثرها لم يحز مكبول  
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا  
إلا أحن غصنيض الطرف مكحول  
هيفاء مقبلة ، عجزوا مدبرة  
لا يشتكى قصر منها ولا طول  
تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت  
كأنه منزل بالراح معلول  
شجع بذى شيم من ماء محنية  
صاف بأبطح أضحي وهو مشمول  
يا ويحها خلة لو أنها صدقت  
موهودةا، أو لو أن النصح مقبول  
فما تدوم على حال تكون بها  
كما تلون في أثوابها الغول  
وما تمسك بالوصل الذي زعمت  
إلا كما تمسك الماء الغرابيل  
فلا يغرنك ما مننت وما وعدت  
إن الأمان والأحلام تضليل

ونحنم هذه الأشعار الغزالية بقول عبدة بن الطبيب (١) :

هل حبل خولة بعد الهجر موصول

أم أنت عنهما بعيد الدار مشغول

حلفت خويلة في دار مجاورة

أهل المدائن ، فيها الديك والفيل

فخامر القلب من توجيع ذكرتهما

رس لطيف ورهن منك مكبول

وللأحبة أيام تذكرها

وللفوى — قبل يوم البين — تأويل

بعض أشعار أبي نؤمة في حبه لـ

\* \* \*

بقي أن نرصد حول الشعر الإسلامي عددا من الملاحظات .

---

(١) في الشعر الإسلامي والأدوى ص ٥١

سادسا : ملاحظات نقدية فنية حول الشعر الإسلامي

ليس من المنطقي أن نتوقع انقلاباً كاملاً ، وتغيراً جذرياً في الشعر العربي عشية ظهور الإسلام ، وإنما هو تطور محدود النطاق في البداية (١)

ذلك لأن التقاليد الفنية ، والقيم الشعرية ، تسكتسب عبر أجيال وأجيال ، وهي تتأثر ببطء ، وتغير في تدرج ، ومهل . فلا غرابة إذن أن نجد استمرار بعض الطوابع والسمات الجاهلية في الشعر الإسلامي ، خاصة وأن اللغة بقيت كما هي في جوهرها رغم بعض التطور ، وكذا بقي النسق الموسيقي من عروض وقافية على حاله ، وإلى هذا وذاك فإن البيئة الجغرافية ظلت كما هي عند السكينة من الشعراء الذين أقاموا في الجزيرة ولم يرافقوا الهيرش .

إن التغيير الديني والأخلاقي والاجتماعي حق لا مرأى فيه غير أن تأثيره على فن الشعر يتم بأناة وريث ، وتظهر نتائجه على مدى زمني طويل ، والصورة العامة للشعر في صدر الإسلام تقوم على حقيقة حضارية معروفة ، هي أن هناك بالضرورة تداخلاً بين فترات التاريخ

---

(١) رصدت هذه الملاحظات على الشعر الإسلامي فقط ، فهي لا تتناول شعر المشركون في مكة كما لا تعرض لشعر البادية الذي بقي على حالة الجاهلية ، ولم يتأثر بالإسلام بعد في عهد النبوة والراشدين .

الحاشية ، وأنه لا يمكن أن يكون هناك خط فاصل بين فترة والنقطة  
تليها ، وبخاصة حين يتصل الأمر بمقومات نفسية بعيدة الغور  
في نفوس أصحابها ، أو بقيم فنية أصبحت تقاليد موروثة لا يمكن  
الخلاص منها فجأة ، أو الاهتداء إلى غيرها من قيم جديدة ، (١) :

إن التغيير العادى فى مظاهر الحياة اليومية ، من سلوك وملبس  
وما أكل ومشرب ، كل ذلك يقسم بيسر وسهولة ، ولا يجد مقاومة تذكر ،  
بل ربما وجد الترحيب والتشجيع ولكن الأمر يختلف فى مجال الفن  
والادب ، لأنه يتصل بروح الأمة وهويتها - مثل العقيدة تماما -  
فليس ميسورا أن يتخلى الشاعر عن أسلوبه الفنى ، ويتخذ آخر ، ولا  
ينتقل من قالب موسيقى إلى سواه ، ولكنه يمزج بين هذا وذاك ،  
ويجمع بعض الجديد إلى شيء من القديم .

وإذا كان الشعر الجاهلى بسماته الخاصة وأغراضه النابذة قد توارى  
بعض الشيء ، وخفت صوته قليلا ، فلم يكتفى بفسح المجال لشعر إسلامى  
أكثر حيوية وملائمة لما حدث من تغيير هائل فى حياة العرب .

ونحن نلاحظ التجديد فى الشعر الإسلامى واضحا بدينا من خلال  
المعاني والأفكار ، لأنها تستمد من النيم والمثل التى يؤمن بها الناس ،  
وهى قد تغيرت تغيرا جذريا بعد الإسلام ، ولذا نرى الشعراء المسلمين  
يرددون معاني وأفكارا تختلف وتباين عما كان يتناوله الشعراء

---

(١) فى الشعر الإسلامى والاموى : ص ٦٧

في الجاهلية ، حسب الأراض والموضوعات .

وكذلك ندين الحداثة والجدّة فيما طرقه الشعراء بعد الإسلام من مجالات وآفاق لم تكن معروفة قط أيام الجاهلية ، وهو ما يسمى بالأراض الجديدة ، وحتى القديم الذي ظل مستمرا طبعه الإسلام بطابعه ، فأكسبه رونقا وبهاء .

وتعرضت لغة الشعر في العهد الإسلامي - متأثرة بالقرآن والحديث - لتطور ملحوظ ، وهو ما لفت نظر النقاد والدارسين المتشبهين بالشعر الجاهلي والمجهين به ، فعدّوا ذلك التطور ضعفا . أما في البناء الفني ، أو نسق القصيدة فقد أضاف له شعراء الإسلام لمسات قليلة ، في حين بقى الإطار الموسيقي على ما كان عليه من وزن وقافية .

ولنستعرض الآن مظاهر التجديد في كل مجال على حدة :

أولا : المعاني والأفكار : لا ريب أن الشعر الإسلامي قد جمع بين بعض المعاني الجاهلية بما لا يتعارض وقيم الإسلام ومبادئه ، وبين معان إسلامية مستحدثة . وإذا كان بعض الدارسين يرى أن الشعراء المسلمين لم يوفّقوا تماما في تمثيل قيم الإسلام ومعانيه ، ولم ينجحوا نجاحا كاملا في استيعاب الدين الجديد ، والنهل من يغاييمه الثرة ، وأرجع ذلك إلى توزيعهم بين عامل الموروث الذي ألفوه وعاشوه طويلا أيام الجاهلية ، فكون تسويج عقوطين ، وإخراج بغيرهم ، وظل يشدهم للتمحير عنه وتمثله ، وفي المقابل أجندتهم حاجات جديدة

أوجدوها الدين الحنيف، وأملتها ضرورة الحياة الإسلامية، وتداخلت  
هي الأخرى في أفكارهم ومواهبهم ونسج عقولهم ، وسفرتهم إلى  
تصويرها والتعبير عنها . فمذا التوزيع بين العاملين المتقابلين استنفد  
طاقاتهم الفنية ، وقلل من نجاحهم .

ويمكن أن نضيف أسبابا أخرى، مثل عامل الزمن؛ فالقيم والمعاني  
الجديدة تتطلب وقتا طويلا حتى تختلج في الأذهان وتتشربها العقول، ثم  
عنما الشعر . وكذلك وجود الشعراء المسلمين في بيئة جاهلية - لا تزال -  
وأكثر الجمهور المتلقى من الجاهليين فكرا وروحا وثقافة ، وهم  
لا يستطيعون الانفصال عن جهورهم ومستمعهم .

ولا شك أن صدورهم في كثير من الأشعار عن حافز الرد على  
المشركين ونقض قصائدهم ، جعلهم يتابعون نفس التقاليد الفنية،  
ولو خالفوا تلك التقاليد لأخفقوا في الرد عليهم وإفحامهم . يؤكد  
ذلك أن الأشعار التي خرجت عن ذلك النطاق ولم يقصد بها هجاء  
المشركين أو مغائرتهم ظهرت فيها المعاني الإسلامية واضحة ، كرائي  
الشهداء ووصف البلاد الجديدة ، ومعارك الفتوح ، والحنين والفربة ،  
وما تناول خلقا أو مبدأ إسلاميا .

ورغم كل ما سبق ، فإن كثيرا من الأفكار والمعاني الجديدة عرف  
طريقه إلى الشعر الإسلامي ، وخاصة في الأغراض المبتكرة ، وبعضه  
ظهر في موضوعات قديمة أيضا .

ثانياً الأغراض والموضوعات : كان الشعر الجاهلي يمس حياة  
عرب الجزيرة في انحصارها ومحدوديتها ، فهو يثقل في ميادين  
ثابتة لا تتغير :

(١) مدح للملوك والوجهاء الأثرياء ، يشوبه الاستغفار ويمنح  
إلى المبالغة ، ويصدر — إلا في القادر — عن مائق ورياء .

(٢) فخر بالنفس والقبيلة ، يدور حول محاور معدودة من النسب  
والحسب ، والشجاعة المتمورة أحياناً ، والكرم الذي يبالغ حد الإسراف  
والسفه أحياناً .

(٣) رثاء يعترف من معين المدح غالباً ، ويغلفه إحساس حاد  
بالضياع والفناء بسبب الفراغ الذي يهيب .

(٤) هجاء لا يتورع عن الفحش والإفداع ، مالياً للممدوح  
والمفاخر ، مضافاً على الخصم مثالب ونقائص بالكذب والادعاء ،  
والمبالغة في الذم .

(٥) غزل قد ينحاطه بكاء الأطلال ، ويقتصر على الوصف  
الظاهري لمحاسن المرأة الجسمية غالباً ، أو المغامرات التي تغدش الحياة ،  
وتمس المرض والخلق .

(٦) وصف الطبيعة حية وصامتة ، وهي في البيئة الصحراوية فقيرة  
قليلة التنوع محدودة الآفاق .



وأخيراً أبيات الحكمة التي قد تأتي ختاماً للقصيدة ، وقد لا يتطرق  
إليها الشاعر .

ثم يشرق الإسلام بنوره ، وتغير حياة العرب من وثنية مشرقة  
إلى مؤمنة موحدة . ومن قبلية ضيقة إلى إنسانية رحبة عريضة . ومن  
مادية متدنية إلى روحية سامية رفيعة .

ويتغير الشعر كما تغيرت الحياة ، وتوسع أفاقه ، وتعدد  
المبادئ ، وتظهر أغراض جديدة ، وموضوعات لم تكن من قبل  
معروفة ولا مطروقة ، بل وتكتسب الأغراض القديمة روحاً جديداً  
وبهاءً مثاقفاً .

ويمكن أن نطعن إلى عدد محدود من الأغراض قد ترك تماماً مع  
إشراق الهدى المحمدي ، وحتى العصر الأموي ، وذلك لما عارضها مع  
قيم الإسلام وأخلاقياته .

من تلك الأغراض ذكر الخمر ، وصفها ، والتغنى بها ، والشوق  
إليها ، وبيان أثرها في النفوس ، وتصوير مجالسها وشاربها ، ومقامها  
وصانعها وبائعيها ، وكل ما يتصل بها .

ومنها شعر المجون : سواء ما يتعلق بالغزل الفاحش ، واللغو  
العابث ، والمغامرات المستهترة ، أو مجالس الغناء والقيان والطرب .  
ويدخل في هذا النطاق الشعر الذي يتحدث عن الميسر ولاعبيه  
ومجالسه ورهاناته .

ثم تأتي المناقشات أو الهجاء القائم على ما يحيط من الشرف ،  
ويغدش الحياء ، ويمزق الأواصر ويورث البغضاء والثرارات ،  
ولو تأملنا في حكمة تحريم تلك الأغراض بعد الإسلام لوجدنا أنها  
ليست منافاة للقيم الدينية فقط ، وإنما لما تسببه وتؤدي إليه من  
تخريب للنفوس ، وإذهاب للعقول ، كما أنها مضيمة للصحة والمال  
وهدم للفرد والجماعة ، وهي على الجلة إمانة للإنسان الذي كرمه الله  
على سائر خلقه حتى الملائكة ، مما يناقض الدعوة الإسلامية لقوة الفرد  
والجماعة ، قوة مادية ومعنوية ، وكذا الدعوة للتماسك والترابط  
والإخوة .

ونستعرض الأغراض التي ظلت من الجاهلية ، فنظم فيما المسلمون  
مع إضفاء الصبغة الإسلامية عليها ، وتصفيتهما مما يتعارض وتلك الصبغة  
من أفكار أو ألفاظ :

المدح : كان المدح في الجاهلية تقرباً للممدوح طلباً لنفعه واتقاء  
لضره ، وكان وسيلة للتسكيب عن طريق الطايا والهبات التي يمنحها  
الممدوح مكافأة للشاكر .

وفي النادر القليل يصدر المدح عن عاطفة صادقة وإعجاب حقيقي ،  
ولكنه غالباً يأتي مرأاة وافتقار .

فلما جاء الإسلام قل شعر المدح إلى حد كبير ، وربما صار قاصراً  
على مدح الرسول ﷺ وإشارات قليلة للخلفاء الراشدين ، وكلاماً

ينبع من حب صادق ، وإعجاب منبه عميق ، بما في شخصية النبي من سمو وترفع ، وما لدى الخلفاء من تقى وورع وطاعة ، وتمرد دقيق للحق والعدل ، وبعد أن كان الخافز في المدح هو التقرب للملك أو للرجيه الأثرى ، صار قربى إلى الله وطاعة له ، فالرسول وخلفاؤه يمثلون رموزا للإسلام وتجييدا لمبادئه وتطبيقا لأوامره ، ولذا فإن مدحهم ليس مدحا لذات الشخص - وإن كان خلية بما به - ولكنه في المقام الأول مدح للمعاني والمبادئ التي يمثلها ، ثم تفرع عن المدح الفردي مدح للجماعة الإسلامية ، وتجميع الدعوة الجديدة ، ويرمز للجماعة الإسلامية بالمهاجرين تارة وبالأنصار أخرى ، وبهما معا أحيانا .

وهذا المدح الجماعي يبرأ من الجمالة ، ويبتعد عن المبالغة ، وهو يهدف بالدرجة الأولى إلى إلهاء شأن الدين ورفع لوائه ، والإشادة بالمسلمين الأوائل ، الذين حملوا عبء الجهاد في الأيام الصعبة من بداية الدعوة ، حين كان الأعداء كثيرين ، والقررة محدودة ، والنصر عزيز المنال .

ويمكن أن نجمال خصائص المدح أيام النبوة والراشدين في :

(١) صدوره عن عاطفة قوية وإعجاب صادق بالرسول ، وأصحابه وخلفائه ، وبالجماعة الإسلامية من مهاجرين وأنصار ، فلا نفاق أو رياء ، ولا ملق أو تقرب ، ولا شبهة للكسب والمنفعة .

(٢) صفات المدوح ، أو مواضع المدح ، تجمع بين قليل مما معروف في الجمالية كالشجاعة والكرم والبرورة والفجدة ، ثم تضيف

إليها مناقب وصنات إسلامية معسرة ، كالجهاد في سبيل الله ، والنظام  
لشهادة ، ونشر الدين وإعلاء كلمة النور ، وكذلك نبل الأخلاق ،  
وطاعة الله ورسوله ، والحرص على الجماعة الإسلامية والسعي لخيرها ،  
والعمل بكتاب الله وسنة نبيه ، والبعد عن نواهيها وما يغضبها .

(٣) ذكر الحقائق والوقائع دون مبالغة أو تهويل : لقد كان سجل  
البطولة الإسلامية ، ومنابر المسلمين حافلاً زخراً ، وطافه من حقائق  
يفوق تصور الخيال ، وروعة المبالغة .

(٤) استخدام لغة سهلة تتضمن مفردات وعبارات دينية  
إسلامية ، وتذأى عن الكلمات والعبارات الجاهلية .

الهجاء : اتسم الهجاء في الجاهلية بالاعتداء على الأعراس  
والطرمات ، وسلب الشرف ، والعيب في الأنساب والأحساب ،  
وكذلك الذم باللفظ الجارح ، والمعنى القمارص ، فكان الناس  
يضطرون إلى شراء السنة الهجائية ، وتجنب إثارتهم ، كما كان يحدث  
مع الخبيثة . وأحياناً يضطر المرء إلى استئجار شاعر للرد على  
من يهجه .

ثم بعث الرسول عليه السلام بمعاليم الدين السمحة وخلقه الرفيع ،  
فأزاد من التنايد بالألقاب ، ومن الغيبة والذميمة ، ومن التباغض  
والتنافس ، ودعا إلى الأخوة والمحبة والتسامح ، وطالب المجتمع المسلم  
بأن يكون جسداً واحداً مترابطاً ، ويسكن أفرادُه أعشاشاً في الجسد ،

يؤول لجميع ما يحق بالواحد ، وحينئذ كف لشعراء المسلمون عن الهجاء  
تأديبا بأدب الإسلام ، إلا أن شعراء الشرك فتحوا غير أن السنتهم على  
النبي الكريم وعلى المسلمين - مهاجرين وأنصارا - فأذن الرسول -  
ﷺ - للشعراء الانتصار برد الأذى ، والدفاع عن النفس والدين ،  
فالهجاء من المسلمين كان اضطرابا وحالة من حالات الدفاع .

فلما فتحت مكة ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، توقفت  
المعاركة الكلامية بين المشركين والمسلمين ، واختفى الهجاء تقريبا  
بقية عهد النبوة والراشدين ، وكان الخلفاء رضوان الله عليهم يعطون  
للشاعر الهجاء ما يكف أسائه عن إيذاء المسلمين ، ويعاقبون من  
يستمر في الهجاء ، فلما جاء بنو أمية تغير الحال .

ولستطيع التخييل سمات فن الهجاء الذي مارسه المسلمون فيما يلي :

(١) لجأ إليه شعراء الإسلام دفاعا عن النفس والدين ، بعد أن  
تجاوز المشركون فيه الحدود ، وصار السميت ضعفا .

(٢) ابتعد عن الفحش والإقذاع ما أمكنه ، وركز على جرح  
المشركين بحق الله وقدره ، وكفرهم به ، وتسكيتهم بنبه .

(٣) كان حسان يستغل ما في أنساب المشركين من هنات ، وقد  
استخدم في أحيان قليلة ما يحط بالشرف ويخرج عن قيم الإسلام ،  
وعذرة في ذلك حاجته إلى إفساد الكفار ، ورد سهامهم  
وإخراص السنتهم .

- (٤) كان فيه هجاء الأشخاص الفردى ، وهجاء القبائل الجماعى ، وهو فى كلا الحالين رد على هجاء سابق للمشاركين .
- (٥) لم تخصص للهجاء قصائد مفردة ، واسكنه يأتى مختلطاً بأغراض أخرى كالنحر ووصف المعارك ، أو الحرب النفسية .
- (٦) وهو مثل بقية فنون الشعر الإسلامى تتناثر فيه كلمات إسلامية ومعان دينية بنسب مختلفة .

النحر : كان الشاعر الجاهلى بطبيعته يمتدحها معتدا بنفسه وجنسه يكثر من النحر فى قصائد خاصة بنحرى النحر ، وفى أبيات عبر قصائد نظمت لأغراض أخرى ، كان يزهر ويباهى بما لديه مما يستحق النحر والمباهاة ، وقد يختلق ويتخيل ما ينحرب به ، أو ينحرب بها سوف يفعله وما سيكون عليه ، ينحرب بشخصه وجماعته القروية وقبيلته وعشيرته ، ثم يتجادى وينحرب بأصله العربى . وكان مناط النحر أولاً هو الشجاعة التى فصل إلى الثهور ، والقوة التى تدفع للعنوان ، والجهل الذى يجر إلى الظلم ، ثم الأخذ بالثأر ، وعدم الصبر على الضيم والذل .

وكذلك النحر بالحسب والنسب ، وكرم المحتد ، ونقاء الأصل والمصيبة القبلية . وتأتى المواقع والأيام التى شهدتها أو شهدتها قبيلته وحقت فيها انتصارات ، ثم يباهى بقيم أخلاقية وصفات حميدة ، كالبرورة والنجدة وإفانة الملبوف ، والعزة وإكرام الضيف ، والترفيع عن الصغائر ، ولا ينهى أن يفاخر بلموه وعيشه من مناسرات عاطفية

وتشذيب بالنساء ، وشرب للخمر وبجائس الغنم والجوف  
والخروج للصيد .

ومن مكة - الأرض الحرام - يشرق فجر جديد للعالم أجمع ،  
ويسكون العربي هو المثل والقدوة ، وهو المبلغ والداعى ، ولا يقف  
الدين الحنيف من نزعة الفخر العربية الإنسانية موافق التعمت والرفض  
المقصاب ، واسكنه كمادته يتخذ منها موقف التوجيه والتهذيب ،  
فيفخرون بأجداد أسى وأعد كالتسابق إلى الإيمان بدين الله ومفارقة الشرك  
وكذلك المبادرة بالهجرة طاعة لله ورسوله ، أو نصرة الدين والجهاد  
في سبيل الله . وأصبح البلاء من أجل العقيدة وطلب الشهادة مناط  
نفرهم الأول ، ثم يأتى الزهو بنصر الله وتأيد الملائكة .  
وفي المجال الأخلاقى تكون التقوى ، وطاعة الله والرسول ، ثم  
اجتناب المحرمات والبعد عما يستكره .

وأخيرا ما رضى عنه الإسلام وأبقاه من طباع الجاهليين  
وأخلاقهم ، كالكرم وقرى الضيف ، والنجدة وإغاثة المستجير ، والنعف  
عما لا يملك ، والشجاعة فى الميدان .

واستفاض عن الفخر بالأصل والحسب نفرا بالانتماء إلى الإسلام  
الحنيف ، وعن القبيلة والجنس اعتزازا بالفبى وجماعة المسلمين  
والصداية المجاهدين .

وبذا يمكن استخلاص سمات الفخر الإسلامى فيما يلى :  
(١) التقليل ما أمكن من الفخر والمباهاة لأن الإسلام يدعو إلى

التواضع ، ويرى أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين وأن خيلاء الفرد وكبره مصيبة ومكروه .

(٢) ما بقى من فخر طابعه الإسلام بطابعه ، فصار مناطه ما يتصل بالدين من الإيمان والنعوى ، والقتال حتى النصر أو الشهادة في سبيل الله ، وما يتصل بجماعة المسلمين من طاعة الرسول والآخى والسعى لخير الجماعة ، وأخيرا ما يتعلق بالخلق الرفيع سواء ما كان جاهليا أقره الإسلام أو ما يجد مع الدين التوفيق .

(٣) انتفى من الفخر كل ما يتعلق بالحسب والنسب ، وما يشير العصبية القبلية ، وحل محله شرف الائتاء للدين وجماعة المسلمين .

(٤) الفخر بالنفس وبالجماعة ممكن في إطار إسلامي لا يهدد تماسك المسلمين ، ولا يهين الضعفاء ، كما فعل وحسان ، في زهوه بالانصار لما قدموه من نصرة الرسول ، واستضافة المهاجرين ، والدفاع عن الإسلام ، وكذا ما كان من فخر « نافع بن قهطبة » بقومه بنى تميم لمسارعتهم إلى الدخول في طاعة الرسول والهجرة ومناصرة الإسلام مما يعزز ماضيهم الجليل في الجاهلية .

(٥) تنافس فخر الشعراء المسلمين من المبالغة وتجاوز الحد مكنتها بذكر الحقائق ، والتعبير عن الوقائع .

(٦) استخدام لغة سلسة تتضمن ألفاظا وجملا ذات صبغة إسلامية ، وتبعد عن التعمير والغرابة .



الرثاء : تميعد الرثاء من أقدم فنون الشعر العربي ، وهو يقترب من المدح في كونه يمدح صفات الأعظمة والبطولة والسكان في المراثي - كما في الممدوح - ثم يضيف الجرع الشديد لموته ، والخضاره الشخصية أو القبلية أو العامة الناجمة عن فقده .

ولأن العرب في الجاهلية كانوا ضيق موحدين ، ولا يؤمن أغلبهم بالبعث والحساب ، لذا كان رثاؤهم يتسم دائماً بالنعجية والحسرة الشديدة لفقد الميت ، ولا يحوى أية إشارة إلى مصيره الآخرى . وإذا كان قتيلًا في حرب ، احتلت الدعوة للثأر مكانها ، وكثر الحديث عن روحه القلقة الهائمة حتى يثأروا له .

ثم سرت الروح الإسلامية في فن الرثاء ، إبان بعثة الرسول عليه صلوات ربه وسلامه ، وانفجار الصراع بين الإسلام والشرك ، وتتابعت الغزوات في عهد النبي إلى أن فتحت مكة ، وبدأت الفتوح ونشر الدين في آفاق الأرض ، وهنا يتسم الرثاء على يد الشعراء المسلمين ببيان بسالة الشهيد في حومة الوفى ، وحرصه على إعلاء كلمة الله ، وإصراره على النصر أو الاستشهاد ، ثم ينتقل الشاعر في رثائه إلى بيان ما أعد للشهداء لدى الله من نعيم الخلد ، وعلاو المنزلة وكونهم أحياء عند ربهم يرزقون . ولئن كان المشركون يفتقدون سحر الغاية من القتال ، ويشفرون بعينية الموت في المعركة ، اللهم إلا ما تراضوا عليه من الحرص على الثبات والشجاعة - إذا كانوا هم كذلك - فإن المسلمين قد توافر لهم نبل المقصد وشرف الغاية ، وأى هدف أسهى من الجهاد في سبيل الله ، والدعوة لدينه والاستشهاد دفاعاً عنه ؟

لذلك ظهرت في الرثاء سمات العبر والاحتساب ، والرضى  
 بقضاء الله ، والامتثال لحكمه ، والاستبشار بجنته وموابه ، وما وعد  
 به الشهداء والمؤمنون ، فخنفت هذا من المزع الشديد ، والأسى الفاجع  
 على النقيض ، وحل العبر على البلاء واحتساب الأجر عند الله محل  
 الأيس والسكر . وحق في ظروف الموت المادى أصبح الرثاء مختلفاً  
 كذلك لأن الميت مسلم مؤمن ، أطاع الله ورسوله ، وأدى فرائض  
 دينه ، وعمل بأوامر ربه واجتنب محارمه ، فثراه الجنة ، ومن هذا  
 أحست النساء بالحزن مضاعفاً على أخيمه صخر بعد أن هداهما الله  
 للإسلام : « كنت أبكى لصخر من القتل ، فأنا أبكى له اليوم من النار » .

وكل هذا الجنيد أضيف إلى ما أقره الإسلام في الرثاء الجاهلي من  
 بيان عظمة الميت أو الشهيد ، وسكانته بين قومه وصفاته الأخلاقية  
 النبيلة .

وبخلاصة ما يقال عن الرثاء الإسلامى :

(١) احتفظ ببعض السمات الجاهلية مثل : بيان العظمة الإنسانية  
 والحظية والمسكانة الاجتماعية للفقيد ، وكذلك الحزن لفقده .

(٢) استبدل بالجنع المهلك ، والأسى الفاجع ، العبر والاحتساب  
 والامتثال لقضاء الله .

(٣) في حالة الاستشهاد يصبح الفرح بالجنة ورفعة المنزلة عند الله  
 هو الطابع الغالب على الرثاء .

(٤) يضاف إلى ذلك ذكر ما أبداه الشهيد من بلاء في سبيل الله ودفاع عن الدين وزود المشركين .

(٥) وإذا لم يكن الشهيد من الشهداء فهو مسلم عاش حياته مطيعاً لربه محباً لنبيه - عليه السلام - عاملاً بكل ما أمر به ، مبتعداً عن كل ما نهى عنه ، ولذلك فإن الجنة مقره إن شاء الله .

(٦) حلت كلمات الصبر والرحمة والأجر والاحتساب ، ثم الشهادة والجنة والجهاد في سبيل الله ونصرة الدين ، بدلاً من ألفاظ الهلاك والقتل والجزع والفقد والشار وشقاء الغليل .

شعر الحماسة : مرتبنا أثناء استعراض نماذج من الشعر الإسلامي

ثلاثة أغراض هي : وصف المارك، والحرب النفسية ، ثم الإقدام على الجهاد والفرح بالشهادة ، وهي جميعها تنضوي تحت ما عرف في الجاهلية بشعر الحماسة مع الاحتفاظ في الذهن بالفارق بين مفاهيم الجاهلية والإسلام ، وشعر الحماسة مصطلح قديم يطلق على كل ما يتصل بالقتال سواء فيه وصف الاستعداد السابق للحرب ، من خيل وأسلحة وجند ، أو وصف مساحة الحرب وشجاعة الفرسان ، أو التخويل عن المقاتلين بتخويف العدو من قوتهم وجسارتهم . وكل هذه المجالات ظلت مطروقة بكثرة من الشعراء المسلمين ، بعد أن شاعوا عليها من سمات الدين وروحه ما أعادها خلقاً جديداً مثل :

(١) في بيان الأسلحة والمعدات ذكر الشعراء الإسلاميون

أسلحتهم الحربية المادية ، وأضافوا إليها أسلحة جديدة منحها إياهم الدين الخفيف ، كالقوى والإيمان والصبر ونبل الهدف من القتال ، وتأيد الله وملائكته ووعد المؤمنين بالنصر ، ما داموا صادقين صابرين ، ثم الثبات في الميدان لتحقيق النصر أو الفوز بالشهادة ، بل كان حرص المسلم المجاهد على الاستشهاد أشد من حرصه على الحياة ، وذلك أدعى لنزع الكفار من أى سلاح فأنك .

(٢) في وصف الممارك وبسالة المجاهدين تبذلوا ألوان من البطولة أقرب إلى المعجزات ، وفي تصوير السعى للجهاد والإقدام على الشهادة تحكي قصص خيالية وشعراوية يصعب تصورها ، ولكنها جميعاً حقائق وقائع لأشخاص معروفين منهم بيقين العقيدة وصدق الإيمان وقوى لا تقبل .

(٣) في مجال الحرب النفسية ، وهي أناشيد حماسية تردد قبل المعركة تحث المجاهدين على الصبر والإقدام ، وتستغفر الأعوان للنجدة والمناصرة ، وتدهو للشبكات ، وترهب الأعداء بما تصفه من عدة المجاهدين وعددهم ، وتفزعهم بما تصوره من جسارة المسلمين وعظمتهم وفيها بعد الإسلام يكون الاعتماد بتأييد الله والملائكة والنصر الذي وعد به المجاهدون ، وبذلك يكون التهيب والتخويل بالسلاح المادي والمعنوي ممثلاً في قوة الله التي لا غالب لها ، وتأيد الله الذي لا يعدله .

(٤) اختفت كلمات النار والانتقام ، وتوارى التعصب القبلي

بالحق والباطل ، وظهرت مفردات وعبارات إسلامية جديدة كالجهاد  
والشباب والشهادة والجهنة ، وأصرة الدين والرسول وسلاح الإيمان  
والتقوى ، وظهر الحق ودحر الباطل ، والانتساب للإسلام وليس  
للقبيلة أو القبيلة ، والقتال لتحقيق غاية سامية وليس ثأراً  
أو مجداً شخصياً .

الغزل والنسيب : يرى عدد كبير من الدارسين أن الغزل كان من  
الأغراض التي هجرها الشعراء الإسلاميون ، لكنني است مع هذا  
الرأى ، حتى لو حددنا فترة الترك بعصر النبوة والراشدين ، ذلك  
لأننا نلتقي بنماذج عديدة للغزل إبان تلك الفترة ، وخاصة مطالع  
القصائد في أغراض مختلفة ، وكذلك ذكر الدكتور عبد القادر القحط  
قصيدة مشقة في « الآمال » للشاعر : د مضر بن قرظ ، وأبيات  
« لعبد الله بن علقمة » ، ثم دقاوغة « لعبد بنى المسحاس » ، وكلها  
شعر غزلي رقيق . والأقرب للدقة أن نقول : إن الغزل كفرص قائم  
برأسه ، تخصص له قصائد كثيرة كاملة ، ترك لسنوات في أول العهد  
الإسلامي لكنه ليس الترك العامه ، باعتباره محرماً أو عفاوراً وإنما هو  
الإهمال والتراخي بسبب الانشغال بأهواء أخرى ، فلم يؤثر عن  
النبي عليه السلام أو خلفائه رضي الله عنهم ، طيفيد المظفر أو التحريم  
أو حتى الكراهة ، لقد سمع الرسول قصيدة كعب بن زهير « يا نبت سعاد »  
وفيها مقدمة غزلية طويلة ، فلم ينكر عليه ، وسمع عليه السلام لحسان بن ثابت

قصائد عديدة تبدأ بالغزل ، ولم يرو عنه إنكار أو إعراض ، وقال  
الحجاج : دخلت المدينة ، فقصدت إلى مسجد النبي ﷺ ، فإذا بأبي  
هريرة قد أكب الناس عليه يسألونه ، فقلت هكذا : أفرجوا لي عن  
وجهه ، فأفرج لي عنه ، فقلت له إنما أقول هكذا :

طاف الخيالان فهاجا سقما

خيال أدوى ، وخيال تسكنا

تريك وجهاً ضاحكاً ومعضماً

وساعداً عبلاً وكفا أبرماً

فأقول فيه ؟ . قال : قد كان رسول الله ﷺ يشك مثل هذا  
في المسجد فلا ينسكروه ،<sup>(١)</sup>

فالغزل على إطلاقه - ومنه مطالع القصائد - موجود في العصر  
الإسلامي خلال النهضة النبوية وعهد الراشدين ، وصوف يتسع ، وتكثر  
نماذجها وتستقل به قصائد عديدة ، بل ويتسع بها أيضاً ضخمها من أبواب  
الشعر الأدوى ، ويتفرع لأنواع مختلفة بين عذري عفيف ، وحسي  
جريء ، ويفرغ له شعراء يهتمون جميعهم عليه مثل عمر بن أبي ربيعة ،  
وذو الرمة وابن قيس الرقيات .

ونجمل سمات الغزل عبر عهد النبوة والراشدين في :

---

(١) العقد الفريد : ج ٣ ص ١٠٥

(١) نماذج الغزل في العهد النبوي وفي حكم الراشدين تتعشّل في قصائد ومقطوعات قليلة ، وفي مطالع كثير من القصائد لأغراض مختلفة .

(٢) لم يعترض الاسلام على الغزل ولم يحرمه ، ولم يشكره الرسول ﷺ ، ولكن الشعراء المسلمين شغلوا عنه لانه مرتبط بالفراغ والذعة ، وهم كانوا مشغولين بما هو أهم من نشر الدعوة في آفاق الارض والجهاد في سبيل الله والدفاع عن الدين .

(٣) يفهم ضمنا أن الاسلام بما يشه في النفوس من قيم أخلاقية سامية ، وحماية للحرمات وحفاظ على الشرف ، وبما أسبغته على المرأة من تكريم وإجلال ، وبما أشاعه من العفة والحياء ، لم يكل ذلك فقد كثره الغزل المتهتك ، والتسيب الحسي المستهتر ، وما كان تخادشا للحياء أو مستديا على الأعراس والحرمات ، ولما كانه رضى عن الغزل الرقيق العفيف ، الذى يعبر عن احترام للمرأة وحفاظ عليها وإشراز لها ونستطيع أن نجد من أمثال هذا الشعر كثيرا من المقطوعات فى كتب المختارات والتراجم ، أغلبها لشعراء مقامين ، كانوا يقولون الشعر فى وقدة انفعال خاص ، استجابة لحدث معين فى حياتهم ، على أن من بين الشعراء المعروفين أيضا من نجد لهم أمثال تلك المقطوعات البالغة الرقة فى أسلوبها وعواطفها ، وكأنها لشاعر طال عهده بالحنانة واللين ، (١)

---

(١) فى الشعر الإسلامى والأموى : د . عبد القادر القطل ، ص ٢٦

(٤) لا نستطيع القول بأن الغزل تعرض لتطور كبير في أول العصر الإسلامي ، اللهم إلا ما أشرنا إليه من بعده عن الحسية ، والاستمتاع والعجب ، وميله للرقّة والنعمة ، وحرصه على ما يرضى الخلق القويم وعلى الأعراض والحرمات لسكن التطور الحقيقي سيظهر بعد ذلك في عهد الأمويين .

الأغراض الجديدة : بالإضافة لما أدخله الإسلاميون من سمات جديدة ، وطوايع مستحدثة على الأغراض المطروقة في الجاهلية ، فإننا نلاحظ أثرهم التطويري أيضا متمثلا في ابتكار أغراض وموضوعات لم تعرف من قبل ، وهي :

١ - وصف البلاد الأخرى : عاش العرب قرونا في شبه الجزيرة لا ينادون بها ، إلا نادرا ، وفي رحلات محددة المسار بهدف تجاري مسبق ، وكان القائمون بها تجاراً ، وأصحاب رؤوس الأموال ، فلا شأن لهم بأحوال البلاد وصفات أهلها . وأحياناً يقوم أحد الشعراء برحلة إلى ملك أو عظيم لمدحه واسترقاده إلا أنه لا يلتفت غالباً للبلاد وأهلها ، فهو قد أعد الشعر مسبقاً وهو يرغب في تحقيق هدف الرحلة والعودة سريعاً . خلاصة القول أننا لا نجد نماذج لوصف البلاد وسمات السكان خارج شبه الجزيرة قبل الإسلام .

فلما بعث النبي عليه السلام مبشراً وهادياً للإنسانية كافة ، وبعد تثبيت دعائم الإسلام بفتح مكة ، بدأت حركة نشطة لنشر الدين



وهذاية الفاس، ولئن كان الأسر قد اقتصر في عهد الرسول على غزوات سريعة محدودة الأثر والبعء، إلا أنها كانت إشارات بدء، وأمثلة تحتذى، ثم تبعتهما غزوات ضخمة بعيدة المدى واسعة الأهداف، وفيها انطلقت الجيوش الإسلامية شرقا وغربا ترفع راية الحق والهدى، وتحقق النصر الذي وعد به الله سبحانه، ووعدده الحق. واطلع العرب على بلاد تختلف عن بلادهم كل الاختلاف، سواء في البيئة الطبيعية أو في نظم الحياة وعوائد البشر، أو في درجة الحضارة والتقدم المدني.

ولم يقصر الشعر الإسلامي في وصف تلك البلاد، والتعريف بأهلها وطبقاتهم وسلوكهم وطرق معاشهم وملابسهم، وكذلك مبائيرهم ومعالم حضارتهم، وإليحاج: حاول أن ينقلنا إلى تلك الدوايا الجديدة لئلا نراها كما يراها ويمسح بإيقاع الحياة فيها كما أسس.

ونستخلص ملامح هذا المجال الشعري الإسلامي في:

(١) لأن هذا الغرض جديد وناشئ فلما ندبه محدود، وهو لا يتكىء على تراث سابق، ولكنه يبدع تقاليده الخاصة ويتخذ لغته المناسبة.

(٢) هدفه الأول هو التعريف بالبلاد وما يميزها من ظواهر طبيعية وحضارية، ولذلك يلتقط الطرائف اللافحة مثل البرد القارس، أو البساتين الكثيرة أو الأفيال المشاركة في الحرب، ثم عروش الملوك

والسكنائس الضخمة ، ويتطرق أحيانا للملابس الجند وأصرفاتهم ..  
وهكذا .

(٣) يغاب عليه طابع الدهشة والتعجب واللقطات السريعة العابرة  
دون تأمل أو استبطان للظواهر .

(٤) لغته سهلة بسيطة ، فلا تقعر ولا كلمات نادرة ، ولا ألفاظ  
ضخمة غريبة أو أساليب معقدة .

(٥) يتخلو من التشبيهمات والصور المألوفة : لأنه يعرض مناظر  
غير تقليدية ، ويحفل بطرائف مستحدثة لا تظهر لها ، ولذا فهو لا ينهل  
من معين سابق ولا ينسج على منوال قديم .

٢ — الحنين والغربة : من أرق وأعذب ما أضافه شعراء  
الإسلام إلى الديوان العربي ، تلك الغمات الرقراقة الحارة المتدفقة ،  
التي سررت تصعد الشوق والحنين من المجاهدين المخترين إلى وطنهم  
وأهالهم ، ثم ترجع حاملة الهممة والشوق والحنان من الأهل والوطن  
لذلالت الأكباد البعيدة ، وسحققة أن بعض الدارسين يرى المطالع  
الطللي لبعض القصائد الجاهلية صورا من الحنين ، يتذكر الشاعر  
ماضيه أيام كان والمحبة في منازل متجاورة ، فيحن لتلك الأيام  
ويزور آثار المنازل وأطلالها ، سائلا عن أهلها الراحمين ، متشوقا  
لذكرياتهم وسعادتهم الضائعة .

لسكن البون شاسع بين الحنين والغربة في العصر الإسلامي وبين تلك المطالع ، لقد صار فنا محدود التقسيمات واضح المعالم ، يختلف كما وكيناً ، وله سمات ظاهرة يمكن لمبحرته في :

(١) أصبح مقاطع كبيرة في بعض القصائد ، كما اختصت به قصائد كاملة طويلة ، وتعددت نماذجها وكثرت ، خاصة حين امتدت الفتوح الإسلامية إلى أقصى الأرض شرقاً وغرباً مع نهاية عهد الراشدين حتى الأمويين .

(٢) حفر إليه إحساس حاد بالغربة ، لأن الشاعر المسلم انتقل مع الجيوش لبلاد شديدة الاختلاف عن وطنه ، وعاش أناساً لا يشبهون أهله ، ولا يتكلمون لغته ، وكذلك انبعث نتيجة حنين فياض للوطن بأكمله ، وليس على أول إقليم أو سمرج ، حنين للسماء والأرض والمناخ والنبات والحيوان والطير ، حنين للخيام والنوق والشياه ، للرياح والبرق والمطر ، اشتياق عارم للأهل والأحباء والناس - كل الناس - في ذلك الوطن .

(٣) وبأقلى الحنين والتشوق من اتجاهين متراسلين : حنين من الأهل للجهاديين الأبطال ، الذين خرجوا يملكون كلمة الحق وينشرون التوحيد ويشيرون الإيمان ، ثم حنين من المغتربين يبعثونه للأهل وللوطن بكل مفرداته وذرائع وظواهره .

(٤) وكلا النوعين يخرج في نغمات رقيقة وإحساس دافق فياض ومشاعر حارة صادقة .

(٥) وقل ما شئت عن جمال اللغة وسلاستها وموسيقيتها وعن  
عذوبة الألفاظ ورقتها ودقة تعبيرها ، وعن اتساق الأسلوب  
وروعته وبلاغته .

(٦) بعد أن كان الشاعر المسلم الحنان يكتفي ببث أشواقه في مناجاة  
مباشرة للأحياء والوطن والماضي السعيد ، بدأ يتخذ وسائل  
فنية للتعبير عن الكم الهائل من المشاعر النائرة ، فكانت الحماة ردوا ،  
يفصح من خلاله عن أشواقه وتحنانه ، كما يقارن بين حنينها وحنينه ،  
وشجوها وشجوه ، فيكون هو الأشد لوعة والاهمق طفة ، لأنها تسجع  
بلا عبرات وهو يبكي بدمع غزير ، وراح يلتفت كذلك إلى نباتات  
وأشجار وطيور كان يراها في وطنه ، فيحتفل بها ويحني إليها تعبيراً  
عن حنينه إليه .

٣ - المعاني الإسلامية : وهذا هو ثالث الميادين التي فتحتها الشعر  
الإسلامي ، وبعد أرحبها وأكثرها تنوعاً ، والشاعر العربي متمرس  
منذ القدم بالحديث عن القيم الأخلاقية والمثل ، وهي إحدى مجالات  
نخره واعتزازه .

ولا جدال في أن العرب - رغم جاهليتهم - كانوا على مستوى  
خلقى رفيع ، ويؤمنون بقيم ومبادئ سامية كريمة ، مثل الوفاء بالعهود  
والإجابة الداعى ، وقرى الضيف ، والجود للسائل ، ونصرة المظلوم ، كانوا  
يؤمنون بمثل تلك القيم ويدعون إليها ، فلما هداهم الله للإسلام ثبتهم

عليها ، وأدغم بالمزيد من الصفات العالية والمثل الشريفة بين  
دينية وأخلاقية .

أما عن صياغة هذه المثل والأخلاقيات شعرا ، فقد اعتاد العرب  
استغلال طاقات الشعر وإمكاناته في التهذيب والدعوة لما يريدون من  
مبادئهم وقيم ، وإلى ذلك يشير أبو تمام :

ولولا خلال سننها الشعر ما درى

بغاة العلاء من أين تؤتى المسكارم

وكان ذلك فيما يعرف بشعر الحكمة الذي يصاغ في أبيات تحتم  
التفسير أو تتخللها ، ولكنه ليس تقليدا متبعا عند كل الشعراء ،  
وليس في كل القصائد ، ومن هذا فلا يمكن اعتباره غرضا قديما  
جده الإسلام وأضاف إليه وإنما هو فرض إسلامي يحض ابتكره  
المسلمون ، فخاصة وأنهم نظموا قصائد كاملة طويلة ومتطوعات متعددة  
منه . ولعل قيام الإسلام - قرآنا وسنة - على الدعوة والموعظة  
يقول تعالى ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ (١) كما  
يقول سبحانه ﴿ ولذا قال لقمان لابنه وهو يعظه : يا بني لا تشرك  
بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾ (٢) .

ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه (٣) إن الدين النصيحة

---

(١) سورة النحل : آية ١٢٥

(٢) سورة لقمان ، آية ١٣

(٣) لسان العرب ، ج ٦ ص ٤٤٣٨

شأنه ورسوله ولكتابيه ولائحة المسلمين وعادتهم ، كما يقول عليه السلام  
« الدال على الخير كفاعله » ، والله يحب إغاثة اللامنان ، (١) .

أجل ذلك كله كان باعثاً للشعراء الإسلاميين على الإفادة بما في  
الشعر من قدرة على التأثير والجاهزية ، والبقاء في الذهن ، واستغلال ذلك  
لنشر الدعوة إلى مكارم الأخلاق ، وتحذير الشخصيات ، والسعي بالنفس  
وتزقيق الطبع ، فكثرت النماذج الشعرية في هذا المجال بين قصائد  
طوال ، ومقطوعات قصار ، وأبيات متفرقة ، وتناخض ملامح هذا  
الغرض في النقاط التالية :

(١) أغلب نماذجه تندرج تحت ما يعرف بالشعر التعليمي إذ  
يقوم على الدعوة لمبادئ الدين ، ونشر قيمه وتعاليمه ، كما يهدف إلى  
إصلاح النفوس وتحذير الأخلاق وبحث الفضائل .

(٢) يتجسد في أبيات عبر القصائد المتخصصة لأغراض أخرى ، كما يتمثل  
في مقطوعات رقصات تخصصت له .

(٣) يستمد معانيه وأفكاره من مبادئ الدين الحنيف ، كطاعة  
الله ورسوله والتقوى والتوبة عن الذنوب ، وبر الوالدين والوفاء بالعهد . .  
الخ ، وكذلك من القيم الأخلاقية العليا ، بما عرفه العرب قديماً ودعا  
إليه الإسلام أيضاً كالكرم والفجدة والإخاء وسحق الجار . .

(٤) يتخذ لغة سهلة ، ووسائل فنية بسيطة وقد يكتفي بالنصح  
المباشر ، وتكثر فيه المفردات والمعارات المقترنة من القرآن الكريم  
والحديث النبوي الشريف .

---

(١) فيض القدير : ج ٣ ص ٥٣٧ حديث رقم ٤٢٤٧

ثالثاً : اللغة والأساليب : في مقدمة الملاحظات التي تستلقت المدارس للشعر الاسلامي تأثره بالقرآن الكريم تأثراً اغريباً ، أم أسلوبياً بعد التأثير بالمعاني والافكار . يتناول الدكتور شوقي ضيف ذلك الأثر في اللغة والأدب عامة فيراه ماثلاً في مجالات ثلاث : أولها : جميع العرب على لهجة قريش ، بعد تهذيبها واستكمال ما يفتقها من مفردات . وثانيها : الارتقاء بالعربية إلى منزلة لا تنافسها فيها لغة أخرى ، حين جعلها لغة دين سماوي للبشر كافة ، فوهبها معاني والفاظاً لم تكن تعرفها قبلاً ، كما وهبها الخلود الدائم والحياة المتجددة المتألقة بلا ضعف أو نحول أو موت يتهددها . وثالث آثاره : أنه هذب اللغة من الخوشية ومن اللفظ الغريب ، فأقامها في هذا الأسلوب المميز من البيان والبلاغة ، ويسكن أن تعود إلى معلقة مثل معلقة لبيد أم إلى شعر قبيلة مثل هذيل وديوانها المطبوع ، لترى كيف أن القرآن اختط أسلوباً جديلاً له رونق وعلاوة مع وضوح الفصاحة والوصول إلى الغرض من اقرب مسالكه ، وهو أسلوب ليس فيه زوائد ولا فضول ، فاللفظ على قدر المعنى وكأنما رسم له رسماً ، وهو لفظ لا يرتفع عن الأفهام ولا عن القلوب ، بل يقرب منها حتى يلهم الشغاف<sup>(١)</sup> وهذا الأسلوب للرائع الجديد أسر العرب بسحره ، وهلك أفئدتهم بهيائه وجماله فانسجوا على مفوالة ، وترسموا آثاره ، واهتدوا بهديه د يصوغون آثارهم الأدبية مهتدين بديباجته السكرية ، وحسن مخارج الحروف

(١) العصر الاسلامي : د. شوقي ضيف ص ٣٣ ، ٣٤ .

فيه ، ودقة الكلمات في موضعها من العبارات بحيث تحيط بمعناها ،  
وبحيث تهمل عن مغزاها مع الرصانة والحلاوة ، (١) :

ويعقد الأستاذ ظافر القاسمي موازنة بين الشعر الجاهلي ومثالا  
في أحد نماذجه الشهيرة — معلقة امرئ القيس — وبين الشعر  
الاسلامي مبدعا الفارق الكبير ، مشيراً إلى كلمات بارزة في الابيات  
التي أوردها ، يقول « كان أسلوب الشعر الجاهلي متسقاً مع ما في حياة  
الصحراء من شظف ، وضع ما في طبيعتها من جفوة ، وضع ما في تقاليدها  
من قسوة : نخامة في الالفاظ ، وغرابة في انتقائها ، وصعوبة في نطقها ،  
وتنافر في تركيب حروفها ، عسيرة عسر الحياة فيها ، جزلة في  
تركيبها (٢) » ويعطى المدارس أمثلة من معلقة امرئ القيس على  
ما يقول من تنافر حروف الكلمات وصعوبة نطقها :

وفرع يزين المتن أسود فاحم  
أثيث كقنور النخلة المتشكل  
خدائره مستشذرات إلى العلا  
تضل العقاص في مثني ومرسل

\* \* \* \*

فلما أجزنا مساحة الحى وانتجى  
بنا بطن خبيث حفاف عقنقل

---

(١) العصر الاسلامي : د. شوقي ضيف ص ٣٣ ، ٣٤ .

(٢) نظرات في الشعر الاسلامي : ظافر القاسمي ص ١١



\* \* \* \*

مفارقة بيهضاء خير مفاضلة  
ترائبها مصقولة كالسجندجل

\* \* \* \*

فأضحى يسبح الماء حول كثيفة  
يسكب على الأذقان دوح السكندجل

وبعد استعراض أمثلة متنوعة من الشعر الاسلامى يقول :  
« وأما الشعر الاسلامى فقد تحرر من صفات أسلوب الشعر الجاهلى  
تحرراً ظاهراً ، وأصبح له طابع جديد يتسم بالوضوح والسهولة  
مع المحافظة على جزالة التركيب ، (١) ويقول المدارس فى موضع آخر :  
تجد أن الألفاظ قد تغير استعمالها ، وتجددت موسيقاها ، فالتست ترى  
« العقنقل والمنعشكلى والسجندجل والسكندجل » وأمثالها ، لا روياء  
للقافية ولا من كالم القصيد ، كذلك فإن تركيب الألفاظ وضم الكلمة  
إلى آخرتها ، الذى هو أصل البلاغة فى رأى الجاحظ — مسلم العقل  
والادب — قد طرأ عليه تطور ظاهر ، (٢) وهو يرجع هذا التطور  
الأسلوبى فى الشعر الاسلامى إلى أثر القرآن الكريم الذى فتن العرب  
ببلاغته وسحرهم بفضاحته .

---

(٢٠١) نظرات فى الشعر الإسلامى : ظافر القاسمى ص ١٩ .

وواضح من رأى الدارسين الفاضلين أن التأثير اللغوى للقرآن  
فى الأدب - شعرا ونثرا - ثم فى مجالين هما :

إثراء المعجم العربى : بإضافة مفردات جديدة تدور حول  
الإسلام بحوائجه المتعددة : اعتقادات وعبادات ، ومعاملات ،  
دنيا وآخره . . . الخ .

تحول مقياس البلاغة والبيان من الغرابة والتعقيد فى ندرة  
الكلمات وصعوبتها ، وفى ضخامة العبارات وتعاطفها ، تحول إلى  
السلاسة والسهولة والرقّة والبساطة مع رقة التعبير وقوة البيان ، وذلك  
بحسن اختيار المفردات والاهتمام بأسلوب القرآن فى جمال التراكيب  
وعذوبتها .

ومن أمثلة الألفاظ القرآنية أو الإسلامية عامة ، التى مرت  
بنا فيما عرضنا من شعر ، وكذا الجمل أو التركيب :

مجموعة تدور حول أسماء الله سبحانه وصفاته مثل : أمر الله ،

ذو العرش ، رب المشرق ، حول ، نصر الله ، رب الناس ، عباد الله  
معاف الله ، إله الحق ، إله الخلق ، الله راء وسامع ، غفور لذنب المرء ،  
الله يحكم حكمه ، الله يرزقنا ، لك الخلق والنعمة ، إياك نستهدى وإياك  
نعبد ، توكلنا على الرحمن ، ثواب الله ويعيدنا الله العزيز ، الله فحمد ،  
أتوب إلى الله الرحيم .

مجموعة اتصل بالقرآن الكريم : كالوحى ، كتاب جاء بالحق ،

كتاب منزل ، كتاب الله .

مجموعة ترتبط بالرسول عليه السلام : كالأبي والرسول ومحمد

ومحمود ، مبارك برا حينا ، ستة . نور أضاء لنا ، نور يستضاء به ،  
واحدم من خرم ، خاتم ، رسول الرحمة ، للنبوة خاتم ، النبي المهدي  
أمين الله أنذرنا نارا وبشر سمعة ، سراجا منيرا وهاديا ، نبي الهدى  
نطيع اسم فدينا ، الباذلين نفوسهم لنبيهم ، يحرم شفاعة ، فترة من  
الرسول ، إذ قال في الخس المؤذن أشهد ، خير البرية ، وضم الاله اسم النبي  
إلى اسمه .

مجموعة متنوعة : إسلام ، مسلم ، مسلمون ، جهاد يجهاد ،

بجاهد ، هجرة ، مهاجرون ، أنصار ، موحدة كفر ، كافر ، كفور ،  
مشرك ، أصنام ، أوثان ، الشرك ، الكفار ، الظلام بمعنى الضلال ،  
البر ، نكس ، ميكال ، الصالحون ، المؤمنون ، جنان ، نعم ، أشهد ،  
شهادة ينفك ، أتوب ، اغفر ، زلتي ، يوم الحساب ، نسج داود لما  
بلغ النقر ، اعتمرنا ، الصبور للمؤكدين ، رجلا يصلي ، بشرى الحياة ،  
جنان الفردوس ، روح القدس .

ولا شك أن هناك مئات أو آلاف العبارات والكلمات الإسلامية

في أشعار لم نستعرضها ، لأننا نمثل فحسب ولا نحصي .

بقى الوجه الآخر للتأثير الإسلامي في الشعر الغوري ، وهو ميل الأسلوب

للرقة والسلاسة والمندوبة ، ولا تعني هذه السلاسة ضعفًا في اللغة أو هيوطا

بمستوى الأسلوب من الجمل القوم تارة النسيج . كما تصور بعض النقاد . ولكن

التي بسطوا الجمل وهو ما يمكن تحولا بالإشياء هاهنا سوف تفتح قسما منه حين  
 نتقدم أكثر في عهد بنى أمية ، فسوف نلتقي بالغزل العذري الشفيف ،  
 يصاغ في أسلوب غاية في الرقة والجمال والموسيقية ، متخيلا مفرداته  
 بعناية فائقة ، مبتعدا عن النغز البلاغي ، وحشد الألفاظ المعجمية  
 الضخمة ، متجنبيا للخرابة والحوشية .

وقد رأى الدكتور عبد القادر القط في ظاهرة البساطة والرقة  
 نوعا من ضعف المستوى الشعري خاصة فيما يتصل بالاسلام ومبادئه ،  
 ولكنه يحتفى إذا تناول الشاعر في نفس القصيدة أغراضا أخرى ،  
 ويمثل لذلك بهزلية حسان بن ثابت فيقدم أبياته التي يمدد  
 خيمها المشركين :

عدونا خيلنا لمن لم تروها  
 تشير الفتح ، موعدهما كداه  
 يبارين الأعنة مصعدات  
 على أكتافها الأسل الظاه  
 تظل جسادنا متمطرات  
 تلطمهن بالخير النساء  
 غايا تعرضوا عنا اعتمرنا  
 وكان الفتح وانكشف الغطاء

والا فاصبروا لـمـلاد يوم

يعين الله فيه من يشاء

ويعقب الدكتور على تلك الآيات قائلا : والشاعر في هذه الآيات — ولم يصل بعد إلى موضوعه الإسلامى — يعنى على طريقته في المقدمة محتفظا بسبب شعره الجاهلية في لغته وأسلوبه ، فإذا انتهى إلى الحديث عن المسلمين تميزت لغته وشاع فيها كثير من الألفاظ الإسلامية ، وتنف ما في أسلوبه من رصانة وتأسك ، وأصبح شعره أقرب إلى نظم المعانى الإسلامية منه إلى التصوير الشعرى :

وجبريل أمين الله فينا

وروح القدس ليس له كفاء

وقال الله قد أرسلت عبدا

يقول الحق إن نفع البلاء

شهدت به فقوموا صدقوه

فقلتم لا نقوم ولا نشاء

وقال الله قد يسرت جندا

هم الأنصار عرضتم اللقاء

والحق أن هذا المنهج بطرّد في أغلب شعر حسان الإسلامى ، فتأرجح شعره بين الأسلوب الجاهلى في صورته ولغته ومعانيه ، وأسلوب لا يمكن أن نسميه إسلاميا

بالمعنى الضعيف ، وإنما يستخدم الشاعر فيه بعض الألفاظ القرآنية  
والمعاني الدينية ويتجمل فيه من « المعجم الشعري الجمالي » مؤثراً  
« البساطة » التي قد تنتهي أحياناً إلى ضعف النظم والركاكة ، (١)

ويرجع الناقد الكبير هذا الضعف إلى أن الشعراء في تلك الآونة  
عاشوا فترة انتقال بين عصر وعصر ، حين فاجأتهم تجارب جديدة ، هم  
لا يملكون رصيداً من التراث الشعري يعينهم على تصديرها ولم يتح  
لهم الوقت وتلاحق الأحداث أن يمتدوا — بعد — إلى أسلوب فن  
ملائم لاستيعاب تلك التجارب والتعبير عنها .

وأنا لا أتفق مع الناقد الكبير في اعتبار الأبيات التي قدمها  
لحسان أولاً غير إسلامية ، فغرضها — أو فكرتها الأساسية — إسلامية  
إذ أنها تهديد للمشركين بما أعده لهم المسلمون ثم هي تحفل بالألفاظ  
الإسلامية ، وتبذل لغتها عن الغرابة والتعقيد وتسم بالوضوح والسلاسة .

وكذا فاني أتحفظ على وصف أسلوب حسان بالضعف الذي يصل إلى  
النظام الركيك ، خاصة في هزئته تلك ، فهي من روائع شعره الإسلامي  
وقد أشاد بها كثير من الدارسين ، كما لا فت مجاحها وانتشارها في عصرها ،  
ثم إن وجود بيتين أو ثلاثة في الأبيات الأربعة التي امتشهد بها الناقد  
الكبير أقل مستوى وأرق نسجاً ، لا ينهض من قيمته القصيدة ،  
ولا يسم الشاعر بالضعف والركاكة ، فالقصيدة طويلة متعددة الأغراض

---

(١) في الشعر الإسلامي والأموي : ص ٤٦

كثيرة الامتطراد ، مما يوقع الشاعر في بعض الهفوات ونقاط الضعف ،  
وذلك يحدث لكثير من كبار الشعراء حتى الجاهليين .

لكن دفاعي — عن حسان وهزينة ، لا يمنع وجود شيء من  
الضعف وهبوط المستوى الفني في نماذج قليلة من الشعر الاسلامي —  
خاصة ما يعرف بشعر الفتوح .

وهذا الضعف يمكن تعديله بما ذكره الاستاذ الفاضل عن فترة الانتقال  
وجدة التجارب ، وكذلك صدور تلك النماذج عن شعراء غير محترفين  
ولا معروفين بالشعر ، وإنما وضعهم الأحداث في خضم التجارب  
العنيفة التي هزت وجدانهم ، كعمارك الفتوح أو الاغتراب عن الوطن  
أو فقد الاعزاء ، فنظموا الشعر دون خبرة ومراس ، ودون رصيد  
من التراث الشعري الجاهلي ولا حصيلة من الكلمات والعبارات  
والصور التي يختزنها الشاعر المحترف ، ويفتخر منها كلها بالانظم .

والاقرب للصحة أن نرجع السهولة والتبسط في قليل من أمثلة الشعر  
الاسلامي إلى اتخاذه وسيلة دعائية ، ثم إلى حرص الشعراء المسلمين على  
مواكبة الأحداث ، وأخيرا إلى استعماله سجلا وتاريخا للقائع  
والانتصارات .

فاتخاذ وسيلة دعائية يتطلب أن يكون قريبا من جميع المستويات  
الثقافية للجسموع المتلقي ، كما يتطلب أن يكون سريع الفهم ، وبالتالي  
صريح التأثير ، وكل ذلك يحوج الشاعر إلى استعمال لغة سهلة متداولة

والى البعد عن الإغراب والنعقيد ، بل وحقق عن الوسائل الفنية التي  
تحتاج من مقلقيها إلى تأمل وإعمال ففكر وثقافة خاصة .

أما حرص الشعراء على مواكبة الأحداث فيدفعهم إلى كثرة  
النظم والاسراع إليه بمجرد وقوع الحدث كي لا يتهم بالتخلف عن  
المشاركة وعدم الاهتمام وذلك الاسراع يجرمه من التروى واختار  
الفكره ، ومعايشة التجربة واستبطن الشعور .

وأخيراً فإن استعمال الشعر سجلاً للوقائع ، وتأريخاً للانتصارات  
يميل به إلى الخطابية والمباشرة وأسلوب السرد ، ويوحه بالاسماء  
والأحداث والأيام والتواريخ والأماكن ، وكل ذلك ينأى به عن  
لغة الشعر وفنيته . ثم يشير الأستاذ الدكتور عبد القادر إلى ظاهرة  
أفريقية أخرى لدى بعض الشعراء الإسلاميين ، على أن الظاهرة الأفريقية  
التي لاحظناها عند الشعراء السابقين ما تزال قائمة في قصيدة أبي ذؤيب  
إذ ترق الفاظه ويسلس أسلوبه وتظهر ذاتيته في المطلع النفسى ،  
ويعود إلى الغريب والجزالة والموضوعية في لوحاته الوصفية (١) .  
ثم يرجعها الناقد الكبير إلى ضعف التأثير الإسلامى على الشاعر ، فهو  
يعترف من القديم في الموضوعات التقليدية ، ثم يرق ويعذب في  
المواقف النفسية الذاتية ، وهذا طبيعى في الفترة الباكورة من العصر

---

(١) في الشعر الإسلامى والأمري : ص ٤٥ .



الاسلامى فلم يكن الشعر الجديد قد كون اثراته بعد ، لىكننا مع تقدم  
الزمن سوف نلاحظ التغير والتطور ، والحق أن من أهم صور (١)  
التطور فى الشعر العربى حينذاك ، تلك اللغة الاسلامية الحضرية  
بأساليبها وألفاظها ، بعد أن مرت بمراحل من التطور التدريجى بدأت  
فى تلك المرحلة التى ندرسها ، ثم اتضحت معالمها فى العصر الأموى (٢)

وهناك ظاهرة لغوية أخرى بدأت إرهاصاتها فى أول العصر  
الاسلامى ، ثم شاعت بعد ذلك وخاصة عند الشعراء الذاتيين  
أو العاطفيين فأصبحت ظاهرة مشتركة بين كثير منهم ، وقد أشار  
الدكتور الخطيب إليها فى قصيدة أبى ذؤيب وفى قصيدة أخرى منسوبة  
إلى مضر بن قرظ ، تلك هى ظاهرة تكرار كلمة معينة فى نفس  
البيت أو فى بيتين متتاليين لعدة أهداف .

١ — تحقيق المفارقة والتقابل بين أمرين أو وجهين :

يقول أبو ذؤيب :

سبقوا هواى ، وأعنعوا لهوام

فتخرموا ، وليسكل سجن مصرع

(١) أضفت كلمة صور لأن النص بدونها لا يستقيم .

(٢) المرجع السابق ص ٢٩ .

فقد أراد بكلمتي "هواي ، هواهم ، إحداث مفارقة وتقابل بين  
ما كان يرجوه من موته قبل أنبائه ، وبين الواقع المرحين سببوه  
بموت جماعي .

ويقول عباس بن مرداس في مدح النبي ﷺ :

ونورت بالبرهان أمرا مدمسا

وأطفأت بالبرهان نارا مضرا

فتكرار البرهان يؤدي إلى تقابل بين إنارة ظلام الجهل والاضلال  
بإطفاء نار الشرك والكفر . ويقول حسام بن ثابت :

إن كان في الناس سباقون قبلهم

فكل سبق لأدنى سبقهم تبع

فسبق ، سبقهم أظهرنا المارق بين زوعين من السبق أحدهما  
للمسلمين الذين يغتر بهم حسان والثاني لغيرهم .

(٢) تكرار اللفظة لتحقيق إيقاع يؤكد وحدة الإحساس عند  
المتلقي ، كما يشير لديه توقعا للقافية :

يقول ربيعة بن مقروم الضبي :

ودعوانزال ، فكنت أول نازل

وعلام أركب إذا لم أنزل

فكلمة نازل في الشطر الأول هيأت الفارىء لتوقع القافية ، كما أن  
الكلمات الثلاث : نازل ، نوال ، أنزل أكدت إحساس الملتقى بالإقدام  
والشجاعة التي تملأ نفس الشاعر .

يقول حسان بن ثابت مفتخرا بقومه :

قومي الذين هم آدوا نديمهم  
وصدقوه وأمل الأرض كفار  
إلا خصائص أقوام هم سلف  
للمصالحين ، مع الأنصار أنصار  
فأنزلوه بدار لا يخاف بها  
من كان جارهم ، داراً هي الدار

ففي البيت الثاني تدفعنا كلمة الأنصار إلى توقع القافية كما تؤكد  
الإحساس بمعظمة المدحون .

وكذلك دار في البيت الثالث تجعلنا نتوقع القافية وتزيد شعورنا بما  
أقوه الرسول الكريم من ترحيب وحفاوة وأصر في المدينة بين الأنصار .

ويقوله أبو ذؤيب في رثائه لبيته :

أم ما لجنبك لا يلائم معنجمنا  
إلا أفض عليك ذاك المضجع

فمضجما الأولى جعلت الفأريء يتوقعها وريا ، كما أحدثت إيقاعا  
بين العروض والقافية يقوى حدة إحساس الشاعر بالأرق والحزن الممض  
٣ - الربط بين البيتين بما يوضح ويقوى الإحساس الذى عفى  
الشاعر بنقله ، ويوحده بين أجزاء الصورة :

ولقد حرصت بأن أدافع عنهم  
فإذا المنية أقبلت ، لا تدفع  
ولذا المنية أنشبت أظفارها  
ألفيت كل تميمية لا تنفع  
لقد وزع أبو ذؤيب فكرته وصورته على البيتين ، وكرر لفظ المنية  
ليربط بينهما ويمل شمل أجزاء الصورة .

وحسان بن ثابت حين قال فى صديقه :

أبلغ أبا سفيان أن حمدا  
هو الغصن ذو الأفنان ، لا الواحد الفرد  
وأبلغ أبا سفيان عفى رسالة  
فما لك من إصدار عزم ، ولا ورد

فتكرار أبا سفيان ، ربطت بين البيتين ، وجمعت أجزاء  
صورتي المفعول : النبي - والمهجو أبو سفيان -

أما كعب بن زهير فى « بانث حماد » فيقول :

أُمسّت سعاد بأرض لا يبلغها  
إلا العمّاق الخجيبات المراسيل  
وان يبلغها إلا عذافرة  
فيها على الآين إرقال وتبغيل

فقد ربط بين البيتين كما أجماد التمهيد عن حسه بهمد الحبيبة ، وطول  
المسافة بينهما حين كرر يبلغها .

وبوسعنا الآن استخلاص ما حدث في لغة وأسايب الشعر الاسلامي  
من تطور خلال العهد النبوي والراشدي :

١ - التأثير بالقرآن الكريم في مجالين : اثر المصمم العربي بمفردات  
جديدة ترتبط بالإسلام في مختلف جوانبه وكذلك في تحول مقياس  
البلاغة إلى السهولة والبرقة .

٢ - ميل الشعر الاسلامي إلى البرقة والبساطة يرجع إلى أن الفترة تعد  
انتقالا بين عصرين ، وجود تهارب جديدة لم تتأصل طرق التعبير  
الفني عنها ، ولأن الشعر وسيلة دعائية وسجلا للوقائع والتاريخ ،  
والشعراء يتابعون الاحداث بإنتاج سريع فلا يجدون فرصة  
للتنقيح والتمذيب .

٣ - كثير من الشعراء غير محترفين ، فلا يملكون رصيدا فنيا  
ولا خبرة وممارسة .

٤ - استغلال ظاهرة التكرار اللفظي لمدة أهداف .

(رابعاً) البناء الفني : يتفق المدارسون للشعر في باكورة العهد الإسلامي على أن التغيير الجذري الخطير الذي أحدثه الإسلام في شتى جوانب الحياة ، كان بحاجة إلى فترة زمنية طويلة لكي يستوعبه الشعراء ويتشبعوه ويعايشوه وجدانياً وذهنياً ، ثم يبتدوا - بعد تجارب ومحاولات إبداعية - إلى وسائل فنية جديدة ، ولغة شعرية موحية مبهرة ، وصور مبتكرة مناسبة ، ويتمزج كل هذا في نسج شعري متمسك ، يعبر عن الحدث الكبير ويتلاءم مع أهميته وقوته .

وعلى ذلك . . فهدف المستوى الفني لشعر تلك الفترة - لو سلمنا بوجوده - لا يرجع إلى التأثير الساهي للإسلام على الشعر ، وإنما يعود إلى قصر الفترة - موضوع الحكم - وبالتالي عدم توافر الوقت الكافي للتجويد والابداع الفني المتقن .

وبالإضافة إلى هذا التحفظ ، يجب أيضاً قبل النظر في البناء الفني للشعر خلال العهد النبوي والراشدي ، أن نضع في الاعتبار أمرين مؤثرين :

(١) الكثرة الهائلة في نماذج الشعر ، وخاصة ما صيغ في معارك الفتوح ، إن الإنسان ليدهش حقاً أمام هذه الكثرة من الشعراء ، حتى لينحيل إليه أن الفاتحين جميعاً قد استحالوا شعراء ، (١) ويحل هؤلاء الشعراء ليسوا معروفين ولا محترفين ، وإنما هم من عامة المجاهدين ،

(١) الأدب في عصر النبوة والراشدين : ص ٣٠٥

حقنهم الموقف وهزتهم النجارب ، وأثارت مشاعرهم ظروف الجهاد والغربة والشوق ، فنظموا الشعر دون أن يتجهزوا بأدواته أو يتعمسوا بعلمه وروايته وكتابته ، وفي هذا الخضم الهائل من النماذج البسيطة السريعة لشعراء مغمورين غير مجودين ، تفرق وتضيع نماذج أخرى متميزة ورائعة للشعراء المختارين ، ويكون حكم الدارسين على الشعر الإسلامي عامة بالضعف الرككة .

## (٢) حرص الشعراء على متابعة الأحداث المتلاحقة في المجتمع

الإسلامي وكانما أصبح الشعر سلاحاً آخر من أسلحة القتال ، يعتمد عليه المقاتلون كما يعتمدون على سيوفهم ورمحهم وسماتهم . . . وفي أعقاب كل يوم من أيام القتال ، يقف الشعراء يرثون شهداءهم ، ويستلمونهم الحماة والتهنئة ، كما يتعهدون عن مصارع أعدائهم ، ويفتخرون بأنهم أوردوهم موارد الموت والهلاك ، في سبيل نصرة القضية التي يقاتلون من أجلها (١) كل ذلك هذا الأغراض والقضايا الأخرى.

وبعد هذين الاعتبارين يمكننا إلقاء الضوء على جانب البناء الفني لنرى ما استبقاه المسلمون من تراث جاهلي وما أضافوه جديداً إلى نسق القصيدة العربية وتصميمها .

## (١) المقدمات الغزلية والخمرية في القصيدة : توزعت مقدمات

(١) تاريخ الشعر العربي : د . يوسف خليف ص ٢٩

القصيدة الجاهلية بين الغزل مزوجا بالخبرات أو متداخلا مع الاطلاع ،  
وقد ظل هذا التقليد في سائر الشعراء الاسلامى إلى زمن متأخر ، بل امتد  
هذه البعوض إلى العصر الحديث - مثل أحمد شوقي - أحيانا .

وتقبل النقد بداية الغزل الذى يختلط بالاطلال أو بتفرد ، ولكنهم  
وقفوا موقف الشك والتردد من المقدمات الغزلية الخرية ويشك بعض  
الدارسين في هذا الجزء الأول من القصيدة ويرون أن الشاعر لابد أن  
يكون قد نظم في الجاهلية ، ثم عاد بأتم القصيدة بعد الاسلام . ذلك  
لأنهم ينكرون أن يتحدث شاعر إسلامى ، وثيق الصلة بالدعوة  
والرسول ، مثل هذا الحديث الصريح عن الخمر ، (١) بذلك يعقب  
الدكتور عبد النادر على مطالع همزية حسان بن ثابت ، ثم يشير إلى  
مطالع أخرى لحسان وشعراء غيره ، يختلط فيها الغزل بأشارات  
للخمر ، ولا يرى في ذلك غرابة تدعو إلى الشك فيما إذا كانت تلك  
المقدمات نظمت أيام الجاهلية ، ثم أكمل الشاعر القصيدة بعد الاسلام ،  
ويرى كذلك أن المجتمع الاسلامى لم يكن متزمتا مع الشعراء ، بل كان  
بعد أبيات الغزل والخمر تقليدا فنيا ليس لالا ، ولا يعبر بالضرورة عن  
سلوك عملي أو تحلل أخلاقى . د ألم ترى أنهم في كل راد يهيمون ، وأنهم  
يقولون ما لا يفعلون ، (٢) .

(١) في الشعر الاسلامى والاموى ص ٤٣

(٢) سورة الشعراء : آية ٢٢٤



ويمكن أن نضيف في تعليل تلك الظاهرة — ذكر الخمر — أن  
تحرير الخمر وشربها تم تدريجياً ، وعلى مراحل ، فمثل تلك الآليات  
قد نظمت قبل أن يحدث التحريم الكامل ، كذا فإن الشاعر يتطرق إلى  
الخمر فالبها السكى يصف رضاب المحبوبة ، فهو لا يفرد للأراح حديثاً ،  
ولا يهينها لذاتها ولا يفاخر بشربها أو يصف بحالها ، إنما هو تشبيه  
فحسب ، أو صورة فنية ورثها عن السابقين .

ونخلصه الأمر أن مطلع القصيدة الإسلامية ظل محافظاً على النهج  
الجاهلي ، فهو :

(١) غزلي خالص (٢) يتداخل فيه الغزل بالخمر

(٣) يمزج بين الغزل وبكاء الأطلال .

(٤) يدخل في المرض الأصلي للقصيدة دون مقدمات .

(٢) وحدة الدلالة ووحدة التجربة في القصيدة : يشير الدكتور

د عبد القادر ، إلى إحصاءات تتطور هام في بناء القصيدة العربية  
بدأت بواكبه في هذا العصر ، ثم توأمت حتى ميز كثيراً من القصائد في  
العهد الأموي ، وذلك التطور يتبدى في كون القصيدة ذات دلالة  
واحدة ، وتصب في بؤرة شعورية واحدة ، حتى وإن تعددت  
موضوعاتها .

ويمثل الأستاذ السائد بقصيدة أبي ذؤيب في رثاء أولاده ، حيث

صممها في بناء محكم يتكون من مقدمة تعرض ما ساء الشاعر في فقد  
بذيه ، ثم يرسم ثلاث لوحات لمقتل هاروحشى وثور وفارس شجاع ،  
بادئا كل لوحة بشطر لا يتغير :

والدهر لا يبقى على حدثائه .

فيربط بهذا التكرار بين المقدمة واللوحات الثلاث ، كما يعطى  
لقصيدته دلالة واحدة هي أن القناء نهاية كل حى .

وفي قصورى أن هذا التطور موجود في قصائد أخرى غير قصيدة أبى  
ذؤيب ، فكثير من قصائد حسان قد خلصت لغرض واحد ، كالغز  
أو المدح أو الرثاء ، وكثير من قصائد كعب بن مالك اقتصر على  
وصف معركة من المعارك بين المسلمين وأهل الشرك ، وهناك شعراء  
مختلفين خصصوا قصائدهم لوصف إحدى معارك الفتح ، أو التعريف  
ببلد جديد وحل إليه المجاهدون ، أو رثاء الشهداء في أحد المواقف .

ومن المرجح أن وجود ذلك التقليد الشعري الذى عرف مؤخرًا  
بـ "ممدود الشعر" ، ويعنى البدء بالغزل أو الأطلال ، ووصف الناقة  
والصحراء ، ثم الغرض الاصلى ، خاتمة من أبيات الحكمة ، من المرجح  
أن وجود ذلك التقليد في الجاهلية كان وراء توزيع القصيدة ، وعدم  
انقسامها في تجربة شعورية واحدة ، وبعض القصائد الجاهلية — مثل  
ما قيل في الرثاء — قد برئت من التشتت والانقسام ، وخلصت

لفكرة واحدة ، وتمتعت بوحدة الشعور والتجربة ، لأنها لم تنخفض  
لذلك التقليد .

فلما جاء الإسلام ، وقلت سيطرة التقاليد الشعرية الجاهلية وعاش .  
للشعراء تجارب شعورية حارة عنيفة ، تحررت بالتالي قضايتهم  
الإسلامية من تعدد الأغراض ، فتوافرت لها وحدة الدلالة  
ووحدة التجربة .

٣ — الافادة من قصص القرآن عن الأمم السابقة : لا ريب أن

للقرآن الكريم نبع ثم لا ينضب يستمد منه الشعر معاني وأفكاراً  
وأمثلة ورموزاً ، بعد أن اهتمدى بهديه لغة وأسلوباً ، والشعر الجديد  
يبدأ دائماً بمجرد لمحات وإرهاصات ، لكنه يسرى وينتشر بعد ذلك  
ليكون ملامح رقسمات ، ذلك ما نجد في مجال الافادة من قصص  
القرآن إنها إشارات موجزة وسريعة ، بمثابة القبسات المنيرة يقول :  
عبد الله بن الحارث بن عدي :

وأتلك قریش تجحد الله حقه

كما جحدت عاد ومدين والجر

وهو يشير إلى الأمم السابقة حين كذبت رسالها وكفرت برسلها  
مستفيداً من قوله تعالى ﴿ وأتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وحسوا  
رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد ، واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم

القيامة ، ألا إن عاداً كفروا ربهم ، ألا بعداً لعاد قوم هود (١) ،  
وكذلك من قوله جل شأنه (٢) وإلى مدين أخاهم شعيباً فقال يا قوم  
اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعشوا في الأرض مفسدين ،  
فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين (٣) .  
وأخيراً فإن الشاعر يستوحى قول الله عز وجل (٤) ولقد كذب  
أصحاب الحجر المرسلين (٥) .

أما شداد بن عارض الجشعي في تخويله أهل الطائف وتذكيرهم من  
قتال الرسول ، إن هم تمسكوا بأصنام لا تملك أنفسهم نفعا ولا ضرا:  
لا تنصروا اللات إن الله مهلكها

وكيف نصركم من ليس ينتصر

تلك التي حرق بال نار فاشتعلت

ولم يقاتل لدى أحجارها هدر

إن كبير الآلهة « هدر » لم يستطع الدفاع عنها حين أحرقت تماماً  
كما فشل كبير الأصنام قديماً في الدفاع عنها عندما حطمها إبراهيم  
( قالوا أنت فعات هذا بالهتنا يا إبراهيم ، قل بل فعله كبيرهم هذا

(١) سورة هود : آية ٦٠/٥٩ .

(٢) سورة العنكبوت : آية ٣٦/٣٥ .

(٣) سورة الحجر : آية ٨٠ .

فألأ الوهم إن كانوا ينطقون (١).

وليس من شك في أن هناك أمثلة عديدة لمن أراد استقصاء الظاهرة ،  
فقول عبدالله بن رواحة :

فثبت الله ما آتاك من حسن

تشبييت موسى ، ونصر كالذي نصرنا

نفيه استيحاء لآيات كثيرة تحكي قصة موسى عليه السلام وتأيد الله له  
ونصره إياه على فرعون وجنوده ، ومنها قوله تعالى ﴿ وفي موسى إذ  
أرسلناه إلى فرعون بسلاطان مبين فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون ،  
فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم ﴾ (٢)

وفي قول كعب بن مالك (٣) :

وأنت تلك نمل البر بالوهم كلمت

سليمان ، ذا الملك الذي ليس بالعمى

فإننا نبي الله أحمد سبحت

صغار الحصى في كفه بالترنم

إفادة واضحة من سورة النمل وقصة النبي سليمان مثل قوله جل شأنه :

---

(١) سورة الأنبياء : آية ٦٢/٦٣ :

(٢) سورة النازيات : آية ٣٨/٤٠ .

(٣) يشكده . عبدالقادر القط في نسبة هذه الآيات لكعب ص ٣٢٠ .

(حق إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم  
لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) (١).

وأما شال ذلك كثير ، وحقيقة أنها إشارات موجزة ، لم يحسن الشاعر  
فيها استغلال المنزل القرآني الفياض ، ولكنها البداية التي تشوبها جدة  
المحاولة ، وتقتصر منها سذاجة الريادة ، وهي على أي حال لمحات دالة  
لما تركه القرآن الكريم من تأثير — لغة وأفكارا — وعلى استجابة  
الشعراء الإسلاميين لما يتطلبه التغيير الجذري من تجديد في أسلوب  
بناء القصيدة العربية .

٤ — اتخذ الشاعر للحمامة أو أسد مظاهر الطبيعة رمزا : الشعر  
إيحاء ولمح ، رمز وإشارة ، وكلما ابتعد عن الخطابية والمباشرة ،  
كلما تهيئ التوضيح والإيضاح ، اقترب أكثر من الشاعرية والخمسة ،  
واحتوى عنصر الأصالة والتميز ، والإنسان دائما بحاجة إلى التأسى ،  
ميلال للبحث عن شبيهه وند ، يهته شعوره ، ويفض له همه ويناجيه ،  
يتأرن بين حاله وحاله ، ويوازن بين آلامه وأوجاع نده ، ويستخلص  
النزاه أو يشبث قوة احتماله وصبره ، والشاعر أكثر الناس حاجة  
إلى ذلك التأسى والسوى ، فهو الأشد إحساسا والأرق شعورا  
والأرق وجدانا والأوجع قلبا .

وقد كانت الطبيعة دائما أما حنونا ، يهود الشاعر فيها تعاطفا

(١) سورة النمل : آية ١٨ .

ومعمادقة، ويتخذ من ظواهرها - حية وهامدة مستأنسة أو مستوحشة  
يتخذ منها أشباهها ونظائر ويستعملها رموزاً وموضوعات، يخلع  
عليها ما يريد قوله عن نفسه، ويتوصل بها إلى بيان حاله والتعبير عن  
شكواه، لقد هام امرؤ القيس في الغلالة المفروقة بلا أنيس ولا صديق  
فالتقى بالذئب الجائع، يشبهه في الفقر والعوز (١) :

فقلت له - لما عوى - إن شأنا

قليل الغنى، إن كنت لما تمول

كلانا - إذا ما نال شيئاً - أفاقه

ومن يحرث حرثي وحرثك، يهزله

وعنترة، حين مر على أطلال الديار بعد رحيل المحبوبة، هيجت

دموعه عبرات الحمامة (٢) :

أفنى يسكاه حمامة في أيسكه

ذرفت دموعك فوق ظهر الحمل

كالدرا أو فضض الجمان تقطعت

منه عقائد سلسكه، لم يوصل

وفي قصيدة أخرى يحاور الطير مقارنا بين حالهما فيجد نفسه

أكبرهما وأحزن قلباً (٣) :

---

(١) الشعر الجاهلي بين القبلية والذاتية : د. اخلاص نخري ص ٩٧ .

(٢) موسوعة الشعر العربي : مطاع صفدى : ص ٤٥٩ .

(٣) المرجع السابق ص ٥٥٨

كيف السلو، وما سمعت مماثما  
 يندبن إلا كنت أول منشد  
 وسألت طير الدوح: كم مثلي شجا  
 بأنينه وحفنه المتردد؟  
 ناديته، ومدمعي منهلة  
 أين الخلى من الشجى المكمد  
 لو كنت مثلي، ما لبثت ملاوة  
 وهتفت في غصن الفقا المتأود  
 ويتأسى النابغة بالحامة أيضا (١):  
 أسائلها، وقد سفحت دموعي  
 كأن مفيض من غروب شن  
 بسكاه حمامة تدعو هديلا  
 مفجعة، على فنن تغنى

لكن تلك الاشارات الموضحة العجلى في الشعر الجاهلي تنمو مع  
 تطور الثقافة، وارتقاء الفن الشعرى، فنجدها في العصر الاسلامى  
 تتحول إلى صورة شعرية رائعة، يتخذ الشاعر فيها من الحمامة رمزا

---

(١) في الشعر الاسلامى والاموى: د. عبد القادر القط ص ٦٣.



أو مغادلا موضوعيا ويمكن على تفصيل المقارنة بينهما من جوانب  
متعددة لينخلص في النهاية إلى تماثلهما في الألم . يقول حميد بن ثور  
الهلالي ، وهو شاعر مخضرم أدرك عمر بن الخطاب (١) :

وما هـاج هذا الشوق إلا حمامة  
دعت ساق حر ، ترحة وترنما  
تبكي على فرخ لها ، ثم تغنـدى  
مولدة تبغى له الدهر مطعما  
تؤمل منه مؤنسا لانفرادها  
وتبكي عليه إن زقا أو ترنما  
عجبت لها ، أنى يكون خناؤها  
فهيحـما ، ولم تغفر بمنطقة فما  
فلم أر محزونا له مثل صوتها  
ولا عرييا شاقه صوت أعجما  
كمثل إذا غنـف ، ولكن صوتها  
له عولة ، لو يفهم العود أرزما

---

(١) المرجع السابق : ض ٦٣ ، ساق حر : ذكر الحمام القمري  
أعجما : لا يفصح ، ويقصد الحمامة ، العود : الجمل المسن ، أرزما :  
حن وتشوق .

ويتكرر الرمز في أبيات وقصائد أخرى ليصبح أداة فنية جديدة يستعين بها الشاعر الإسلامي على مزيد من التأثير والإيهام، ويبتعد بها عن الخطابية والمباشرة، وهو ينوع في رموزه مستلهاً كل مظاهر الطبيعة، يقول ابن الغريزة النهشل أثناء معركة جوزجان ببلاد فارس (١) :

وما بي أن أكون جزعت ، إلا

حنين القلب للبرق الماني

والبرق أيضاً يهيج الذكرى والحنين عند شاعر آخر أحسن غربة الروح بمد غربة البدن حين خرج غازيا بعيداً عن مجد ، ليس البرق وحده الذي شاقه من الوطن ، بل أفقار وجرة ، وريح الخزامى ، وريا حبيبة القلب ، كلها رموز للوطن تثير الشاعر وتحرك شجونه ، ويتحدث عنها فيصور من خلال الحديث أشواقه وشجونه (٢) :

أتبكي على نجد وريا ولن ترى

بميفيك ريا ما حديث ولا نجد

ولا مشرقاً ما عشت أفقار وجرة

ولا واطئاً من ترين ترى جمدا

ولا واجدا ربح الخزامى تسوقها

رياح الصبا تملو دكادك أو وهذا

---

(١) نظرات في الشعر الإسلامي والأموي : ص ٦٣

(٢) الأدب في عصر النبوة والراشدين : ص ٣١٢

ألا أيها البرق الذي بات يرتقى

ويحملو نجى الظلماء ذكرتهى نجدا

ويتسع الرمز ليشمل الأرض بكل ما عليها : التراب والمطر  
والزهر، بل والنجوم أيضا فهي ومن السكن والأهل والدفء والحنان ،  
إنه شاعر لم يعن بتشبيته اسمه في ذاكرة الرواة ، كفاه أن زفر حنينه  
واستراح (١) :

حنينا إلى أرض كانت ترابها

إذا أمطرت ، عود مسك وعنبر

بلاد كان الأفحوان بروحه

ونور الأقاليم ، وشى برد محبر

أحنّ إلى أرض الحجاز وساجتي

طرف يقصر

١٣١ بشارى فصل رقيق في ديوان الشعر العربي سوف يظم عبر  
العصر الإسلامى الأول ، ثلاثه في عهد النبوة والراشدين ، ثم  
يستوى داني القطاف عبر العهد الأموى ، وتتفرع منه دوحة عظيمة  
باسقة تظلل سماء الشعر الأندلسى ، فصار يجمع إلى رقة المعاني ورقة  
اللغة أدوات فنية ناضجة تعتمد الرمز والإيحاء ، مستلهمة رموزها  
من الطبيعة بكل عناصرها الناطقة والصامتة من طيور مختلفة ونباتات

(١) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

مقاييمه وجبال ووديان وأنهار وبحار ورياح وأمطار ، وتنوع  
أغراضه بين الغزل العذري الشفيف وبين الحنين إلى الوطن .

(هـ) مقطوعات وقصائد في أوزان مختلفة : يرى الدكتور شوقي  
ضعيف أن أغلب شعر الفتوح مقطوعات قصيرة موجزة ، ارتجالها  
المجاهدون بلا روية أو أناة ليصوروا أحداث القتال ذات الإيقاع  
السريع ، فهي أشبه بتقارير وبلاغات تصدر من الميدان حاملة أخبار  
المعركة ، موجزة أحوال المحاربين ، مبشرة بالنصر ، مطمئنة للأهل  
والوطن . كما يرى الأستاذ الكبير أن الرجز هو الوزن الغالب على  
شعر الفتوح ؛ لأنه اللحن المناسب للمواقف السريعة والأحداث  
المتتابعة (١).

وفي تصوري أن هاتين الملاحظتين تصدقان على بعض شعر الفتوح  
وليس كله ، لأن فيه قصائد طوال كما ضم أوزانا متنوعة غير الرجز .

أما الشعر الإسلامي عامة ، فقد حوى كل الأنواع بين مقطوعات  
قصار، وقصائد متوسطة ، وأخرى طويلة، وكذا سبج الشعراء المسلمون  
في أغلب البحور الشعرية ونظموا في جميع الأوزان حسب تنوع  
الأغراض وتعدد المواقف .

(٦) الماطفة والانفعال : من المسلم به أن توهج الشعور وإثارة

---

(١) راجع : المصنف الإسلامي : ص ٦٦/٦٧

العاطفة وحدة الانفعال ، كل ذلك هو العامل الأول والأهم في انبثاق  
الشعر وتفجر ينابيعه .

وإذا كانت الحمية والصراع في الحروب القبلية من أهم عوامل  
ازدهار الشعر الجاهلي ، حتى أن مكة لم تعرف شعراء لأنها ظلت  
بمناى عن الصراع إلى بعث الرسول ﷺ ، فكيف وقد غدت الممارك  
القبلية الصغيرة حروباً طويلة متعددة مع أمم أخرى ، وكيف وقد  
صار الصراع عقائدياً بين الإيمان والكفر ، بين التوحيد والشرك ؟  
وكيف إذا أصبح النصر باعلاء كلمة الحق ونشر لواء الدين  
أو الاستشهاد في سبيل الله هو الغاية ؟

كيف يكون الشعر إذا توافرت له كل تلك البواعث المشيرة ؟ ثم  
توافرت له بالإضافة لها بواعث الحنين والاغتراب برحيل المجاهدين ،  
وبواعث الدهشة والانهار بالبلاد الجديدة المفتوحة ؟

وكيف إذا عمرت قلوب الشعراء مع كل ذلك بالدين القيم ، وسعت  
نفوسهم بالقيم الأخلاقية والإنسانية الرفيعة ؟ لقد تفاضل ذلك جميعه  
ليولد موهبة الشعر لدى عشرات أو مئات لم يكونوا من محترفي الشعر ،  
بل كانوا يقولونه في لحظات من الانفعال للقوى لفقد عزيز أو اغترابه  
في الفتوح ، أو لحنين جارف إلى موطنهم الأول ، أو للفخر بفروسياتهم  
وبإلحاحهم في حروب الفتح ، (١) .

---

(١) في الشعر الإسلامي والأموي : ص ٤٩ / ٥٠

ومن هنا تناثرت عشرات ، بل مئات المقطوعات في كذب السير  
والمغازي والتاريخ والأدب لشعراء لم يعرفوا قبيلها بالشعر ، وإنما  
حفرهم إلى نظامه وقدة انفصال الموقف عن معركة أو سفرة لذلك  
جاءت أشعار هؤلاء المقلين تلقائية في مقطوعات قصيرة أقرب ما تكون  
في لغتها وصورها إلى طبيعة الحياة المصرية حينذاك ، مع شيء من  
التوتر الذي يستدعيه الانفعال القوي .

وبخلاصة ما يقال في مجال البناء الفني للقصيدة :

(١) ظل المطلع كما كان في الجاهلية : إما غزائياً صريحاً أو يمزج  
الغزل بالأطال ، أو بالخمر ، لكن أكثر القصائد يدخل الشاعر  
الإسلامي إلى غرضه دون مقدمات .

(٢) أول ما يلاحظ من تطور في البناء الفني للقصيدة الإسلامية  
ظهور وحدة الدلالة ووحدة النبرة الشعرية في عدد منها .

(٣) والتطور الثاني هو الإفادة من قصص القرآن الكريم ، وإن  
كان ذلك في بدايته بسيطاً ومحدوداً .

(٤) اتخذ الشعراء لاحد مظاهر الطبيعة رمزاً ، وكانت له بدايات  
قليلة في الجاهلية ، لكن الإسلاميين توسعوا فيه وأحسنوا استغلال  
الرمز في رسم صور فنية .

(٥) قسم كبير من شعر الفتوح صيغ في مقطوعات قصيرة وبعضه  
على وزن الرجز ، لكن الشعر الإسلامي عامة ضم القصائد بأطوال  
مختلفة ومن أوزان متعددة .

(٦) توافرت للشعر الإسلامي بواعث جديدة من التجارب  
الشعرية والأحاسيس المتنوعة والانفعالات القوية .

## المصادر والمراجع

- ١ - القرآن الكريم :
- ٢ - الأدب الأموي : د. محمد فتوح أحمد ، مكتبة الشباب ، القاهرة ١٩٩٠ .
- ٣ - الأدب في عصر النبوة والراشدين ، دار الثقافة ، القاهرة ١٩٩٩ .
- ٤ - الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني : تحقيق إبراهيم الإبياري دار الشعب ١٩٦٩ .
- البيان والتبيين : أبو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ ، تحقيق : فوزي عطوي ، دار صعب ، بيروت ١٩٦٨ .
- ٥ - تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي : د. يوسف خليف ، دار الثقافة ، القاهرة ١٩٩٠ .
- ٦ - تاريخ الشعر العربي ج ١ : د. محمد عبد العزيز الكفراوي ، نهضة مصر ١٩٨٨ .
- ٨ - التطور والتجديد في الشعر الأموي : د. شوقي خليف ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٧ .
- ٩ - التأثير النفسي للإسلام في الشعر : د. عبد الرحيم زلط ، دار الفكر العربي

- ١٠ — جريرونقائنه مع شعراء عصره : د. محمد عبد العزيز السكفراوي  
نهضة مصر ، القاهرة ١٩٥٨
- ١١ — حديث الأربعاء ج ٢ د. طه حسين ، دار المعارف ،  
القاهرة ، ١٩٥٨
- ١٢ — الخطيئة ، البدوي المحترف : د. درويش الجندى ، نهضة مصر  
القاهرة ١٩٦٢
- ١٣ — الحيوان : أبو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ ، تحقيق وشرح :  
عبد السلام هارون ، دار الجليل ، بيروت ١٩٨٨
- ١٤ — دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي : د. محمد عبد القادر  
أحمد ، النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٨٦
- ١٥ — دراسات في الأدب العربي : د. عمر الطايب السامى ، دار  
الشروق ، جدة ١٩٧٨
- ١٦ — ديوان حسان بن ثابت : تحقيق د: سيد حنفى حسنين ،  
دار المعارف ١٩٨٧
- ١٧ — ديوان الأعشى الكبير : شرح وتعليق : د. محمد حسنين ،  
مكتبة الآداب ، القاهرة
- ١٨ — شرح التبريزى على «بائت سعاد» تحقيق وتعليق : د. عبد الرحيم  
النجمل مكتبة الآداب ، القاهرة ١٩٩٠



- ١٩ — شعر عصر صدر الاسلام : د. محمد عادل الهاشمي ، مكتبة  
المنار ، الأردن ١٩٨٦
- ٢٠ — الشعر والشعراء أبو محمد عبدالله بن قتيبة ، تحقيق : د. مفيد  
قيحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٥
- ٢١ — العصر الإسلامي : د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، ١٩٨٩
- ٢٢ — العقد الفريد شهاب الدين بن عبد ربه ، تقديم خليل شرف  
الدين ، دار مكتبة الهلال بيروت
- ٢٣ — في الأدب الإسلامي والأموي : د. إبراهيم عبدالرحمن ،  
مكتبة الشباب ، القاهرة ١٩٩٠
- ٢٤ — في الشعر الإسلامي والأموي : د. عبدالقادر القط ، مكتبة  
الشباب ، القاهرة ١٩٩٠
- ٢٥ — فيض التدوير على شرح الجامع الصغير : العلامة المناوي ،  
دار احياء السنة المحمدية ، القاهرة
- ٢٦ — قراءة في الأدب الإسلامي والأموي : د. محمد عبدالعزيز  
المواني ، مطبعة التقدم ، القاهرة ١٩٨٣
- ٢٧ — قضايا الشعر في النقد العربي : د. إبراهيم عبدالرحمن ،  
مكتبة الشباب القاهرة ، ١٩٧٧
- ٢٨ — لسان العرب : ابن منظور ، دار المعارف ، القاهرة

٢٩ — المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي

مؤسسة جمال للنشر ، بيروت

٣٠ — مقدمة ابن خلدون : عبد الرحمن بن خلدون ، دار الشعب بالقاهرة

٣١ — من قيثارة الشعر العربي : د. فتحي محمد أبو عيسى ، دار

المعارف ١٩٨٠

٣٢ — نحو أدب إسلامي معاصر : أسامة يوسف شهاب ، دار البشير

عمان ١٩٨٥

٣٣ — نظرات في الشعر الإسلامي والأموي : ظافر الفاسحي ، دار

الفائس ، بيروت ١٩٧٧

## كتب أخرى للؤلؤة

- ١ — الطائر المهاجر : شعر ط ١ دار الشروق جدة — ١٩٨٦ ، ط ٢  
مكتب الآداب القاهرة ١٩٩١
- ٢ — وكذا الرجال : شعر مكتبة ذات النطاقين القاهرة ١٩٩٠
- ٣ — الشعر الجاهلي بين القبلية والذاتية : دراسة أدبية مكتبة الآداب،  
القاهرة ١٩٩١
- ٤ — قراءة نقدية في الشعر العربي المعاصر نقد أدبي : مكتبة الآداب  
القاهرة ١٩٩٢
- ٥ — في القصة القصيدة والرواية : نقد أدبي : مكتبة الآداب ١٩٩٢
- ٦ — الاسلام والشعر دراسة موضوعية : مكتبة الآداب ١٩٩٢

## تحت الطبع

- ١ — شاعر عبقرى « شفيق المملوف » دراسة أدبية
- ٢ — الحنين والغربة في شعر المهجر : دراسة أدبية
- ٣ — في صحبة شعراء المهجر : نقد أدبي
- ٤ — الشعر وهموم الإنسان المعاصر : نقد أدبي
- ٥ — قبل فوات الوقت : شعر

رقم الايداع ١٩٩٢/٧١٦٥

الترقيم الدولي - 977-241-063-I.S.B.N

# الإسلام والشعر

- ❶ ليس في القرآن الكريم تحريم لنظم الشعر ، أو تحقيره ، إلا حين يتنكب طريق الهدى ، ويحيد عن الحق والدين .
- ❷ لا يعارض القرآن الشعراء ولا يذمهم ، إلا إذا انحرفوا عن الحق وأساءوا للغير .
- ❸ تنفخ السنة المشرفة مع القرآن ، فترغب بالشعر منبعثاً من النفس المؤمنة الخيرة ، وتفسح مكاناً للشعراء إن ابتعدوا عما يفضي الله ورسوله .
- ❹ سار المشركون ولصحابة على نهج القرآن والسنة فتركوا الشعراء أحراراً ما لم يجاربوا الله ورسوله ويؤذوا المسلمين ، وأخذوهم بالسدة صمائية للدين والجمع .
- ❺ الإسلام - ممثلاً في القرآن والسنة وسلك التابعين والخلفاء - رغب بالشعر فناً إنسانياً مهذباً ، يدعو للخير والنور والجمال .
- ❻ لا يمكن لدعوة عالمية ترسم مناجح حياة جديدة للإنسانية أن تسقط الشعر من حسابها وسيلة للدعوة وسلاحاً للجهاد ومجالاً للإبداع الفني .